المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

التَّنَاصّ القُرْآنِي
فِي شِعْرِ الْجِهَادِ (الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهِجْرِيِّ)

Quranic intertextuality in the poetry of jihad (sixth century AH)

بقلم الدكتورة

سارة إسماعيل عبدالمنعم

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة جازان ـ المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار مارس ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

اَلتَّنَاصّ اَلْقُرْآنِيِّ فِي شِعْرِ اَلْجِهَادِ (اَلْقَرْنِ اَلسَّادِسِ اَلْهِجْرِيِّ)

سارة إسماعيل عبدالمنعم

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة جازان ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : sarahsara48@yahoo.com

الملخص

يُعَدُّ الدِّينُ مِنْ أَهَمِّ اَلْمُكوِّنَاتِ في اَلْمَجتمعِ التي تُشَكِّلُ وَعْيَهُ، وتعملُ على تحديدِ اتِّجَاهه، وعاداته، -حتى في الشِّعرِ الجاهلي نَلْحَظُ بَعْضَ اَلإِشَارَاتِ الدِّينيَّةِ في شِعْرِهِمْ- وفي القرن السادس كان التناص القرآني من أهم وسائلهم الجهادية حيث إن القُرْآنُ الكريمُ هُوَ أَكْثَرُ اَلْكُتُبِ اَلْمُقدَّسَةِ اَلْمُسْتَشْهَدِ بها في النُّصُوص الأدبيَّةِ، حتَّى مِنْ غَيْرِ اَلْمُسْلِمِين .

فنجد مثلا الشَّاعِرُ اَلأَلْمَاني (جيته) الذي قرأ القُرآنَ في ترجمَتِهِ اَلأَلْمَانِيَّةِ، وترجمته اللاتينيَّةِ، وأُعْجِبَ بِهِ إِعْجَابًا كبيرًا،دَفَعَهُ إلى أَنْ يَسْتَلْهِمَهُ وَيَستمدَّ مِنْهُ كثيرًا من النَّمَاذِجِ اَلأَدَبِيَّةِ وَالْمَوْضُوْعَاتِ والصُّوَرِ في ديوانِه اَلْمَشهور (الدِّيوانِ الشَّرقي للْمُؤَلِّفِ اَلْغَرْبِي).

لِذَا كَانَ مِنْ اَلطَّبْعِي أَنْ يستلهم شَاعِرَ اَلْجِهَادْ فِي اَلْقَرْنِ اَلسَّادِس اَلْقُرْآنَ اَلْكَرِيمِ فِي شِعْرِهِ وَيَجْعَلُهُ جُزْءًا مِنْ اَلْقَصِيدَةِ وَيَخْلُقُ أَشْكَالًا مُخْتَلِفَةً مِنْ اَلتَّنَاصِّ ،وخصوصا مع ذلك الشُّعُورُ النَّفسيُّ اَلْمُتهاوي الذي كان لدى جميعِ فِئَاتِ اَلْمُجتمعِ فى تِلْكَ المُدَّة، فوَقَفَ الشَّاعِرُ حَائِرًا لا يعرفُ أيَّ مُنْطَلَقٍ يتَّخِذُ؛ ليعبِّرَ عمَّا تَخْتَلِجُهُ نَفْسُهُ ممَّا يدورُ حَوْلَهُ من أحداثٍ، فلمْ يَجِدْ إلا القرآن الكريم ليطرحَ بداخِلِه رُؤيتَهُ اَلْخَاصَّةَ، فَخَلَقَ تَنَاصٌّ مُبَاشِرٌ وَغَيْرُ مُبَاشِرٍ ليَتَوَافقُ مَعَ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا للحَالَةِ الرَّاهِنَةِ، فمَزَجَ بينَ الحلْمِ وَالْمَاضِي، وأَنْشَأَ عَلاقَةَ اِلْتِحَامٍ وذَوَبَانٍ، منْ خِلالِ طرحِ الرُّؤْيَةِ النَّفسيَّةِ والفِكْرِيَةِ والسِّيَاسِيَّةِ لَهُ ، فَالتَّنَاصُّ فِي حَقِيقَتِهِ

هُوَ اَلْوُقُوفُ عَلَى حَقِيقَةِ اَلتَّفَاعُلِ اَلْوَاقِعِ فِي اَلنَّصِّ فِي اِسْتِعَادَتِهَا أَوْ مُحَاكَاتِهَا لنُصُوصٍ سَابِقَةٍ عَلَيْهَا ، وَقد كان هذا هو الدور الذي لعبه شَاعِرُ اَلْجِهَادِ مَعَ اَلنَّصِّ اَلْقُرْآنِيِّ .

وكان القرآن الكريم الوعاء الذي عبر من خلاله ، وهو القِنَاعُ الَّذِي يَرْتَدِيْهِ ويتوَارَى خَلْفَه؛ لِيُعبِّرَ عَنْ عَوَاطِفِه ومَشَاعِره، وَيَخْلِقُ حُلُولًا للحَاضِر؛ فأمدَّ الشُّعراءَ بِمُتَطَلَّبَاتِهِمْ، وكانَ ثريًّا تَاريْخيًّا، ومليئًا بالأحْدَاثِ التي تُشْبِهُ في خُطُوطِهَا العَامَّةِ اَلْمَرْحَلَةَ الرَّاهِنَةَ التي مَرَّ بِهَا الشُّعراءُ.

وَقَدْ تَنَاوَلَتْ اَلتَّنَاصَّ اَلْقُرْآنِيَّ عَلَى مَبْحَثَيْنِ:

اَلْمَبْحَثُ اَلأَوَّلُ:.

• أَشْكَالُ اَلتَّنَاصِّ مَعَ اَلْأَلْفَاظِ اَلْقُرْآنِيَّةِ بُغْيَةَ تَأْصِيلِ اَلثَّقَافَةِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ فِي شِعْرِ جِهَادِ اَلْحُرُوب اَلصَّلِيبِيَّةِ (اَلتَّنَاصّ اَلْمُبَاشِر) اَلْمَبْحَثُ اَلثَّانِي:

• اَلتَّنَاصّ مَعَ اَلْمَعَانِي اَلْقُرْآنِيَّةِ لِتَأْصِيلِ اَلْأَخْلَاق اَلْإِسْلَامِيَّةِ فِي شِعْرِ جِهَادِ اَلْحُرُوب اَلصَّلِيبِيَّةِ .(اَلتَّنَاصّ غَيْرُ اَلْمُبَاشِر)

وَقَدْ خَلَصَ اَلْبَحْثُ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ تَنَوُّعٌ فِي التَّناص القرآني لدى شعر الجهاد في القرن السادس الهجري، و أَشْكَالُهُ مُتَنَوِّعَةٌ وَثَرِيَّةٌ، تَضْفِي عَلَى النَّصِّ الشِّعْرِي سِمَةَ اَلأَصَالَةِ وَالْمُعَاصَرَةِ والقداسة .

الكلمات المفتاحية: التناص القرآني ، شعر الجهاد ،شعراء القرن السادس.

Quranic intertextuality in the poetry of jihad (sixth century AH)

Sarah Ismail Abdel Moneim
Department of Arabic Language - College of Arts and Humanities - Jazan University - Kingdom of Saudi Arabia.
Email: sarahsara48@yahoo.com

Abstract

Religion is considered one of the most important components in society that shapes its consciousness and works to determine its direction and customs. Even in pre-Islamic poetry, we notice some religious references in their poetry. In the sixth century, Qur'anic intertextuality was one of the most important. Their jihadist means, as the Holy Qur'an is the most cited holy book. In literary texts, even by non-Muslims.

We find, for example, the German poet (Gethe), who read the Qur'an in its German and Latin translations, and admired it greatly, which prompted him to be inspired by it and derive many models from it. For the literary works, themes, and images in his famous collection (The Eastern Collection of the Western Author).

Therefore, it was natural for the poet of jihad in the sixth century to be inspired by the Holy Qur'an in his poetry, make it part of the poem, and create... It was different from intertextuality, especially with the deteriorating psychological feeling that all groups of society had in that period, so the poet stood bewildered, not knowing which starting point to take. To express what was troubling him about the events going on around him, he found nothing but the Holy Qur'an to put into it his own vision, so he created direct and indirect intertextuality to agree with what He saw it as appropriate for the current situation, so he mixed the dream and the past, and created a relationship of fusion and dissolution, by presenting the psychological, intellectual, and political vision. For him, intertextuality is in its essence

It is to determine the reality of the interaction taking place in the text by restoring or simulating it to texts that

preceded it, and this was the role played by the poet of jihad M. On the Quranic text.

The Holy Qur'an was the vessel through which he passed, and it is the mask that he wears and hides behind. To express his emotions and feelings, and create solutions for the present; It provided the poets with their needs, was rich in history, and full of events whose general outlines resembled the current stage through which the poets went through.

It dealt with Qur'anic intertextuality in two topics:

The first topic:.

• Forms of intertextuality with Quranic words in order to root Islamic culture in the poetry of jihad of the Crusades (ambiguous intertextuality Asher) The second topic:

• Intertextuality with Qur'anic meanings to establish Islamic morals in the poetry of jihad in the Crusades. (Indirect intertextuality)

The research concluded that there is diversity in Qur'anic intertextuality in the poetry of jihad in the sixth century AH, and its forms are varied and rich, giving the poetic text the characteristic of originality and authenticity. Contemporary and holiness.

Keywords: Qur'anic intertextuality, jihad poetry, poets of the sixth century .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَوْطِئَةٌ:

مُنذُ القِدَمِ عَقَدَ الشُّعراءُ رَوَابطَ وُثْقَى بِالتُّرَاثِ الديني – وخاصة القرآن الكريم –، وكثيراً ما عدُّوه نِبْراسًا هاديًا، وقائدًا مُتَّبعًا يتفاعَلُون معه، ويجعلونه كَائنًا حيًّا؛ ينبضُ بالحياةِ في وُجْدَانِهم وخَاطرهم، وكيانًا بِنَائِيًّا يشملُ مُستوياتِ قَصَائِدِهِمْ في التَّراكيبِ والصِّيَاغَاتِ، وفي القَضَايَا وَالْمَضَامين، لكنَّ هذا التَّفَاعُلَ لَمْ يكُنْ مُحاكاةً مَحضةً لِمُعْطى مِنْ مُعطياتِهِ، وإنَّما كان يؤدِّي أدوارًا مُتعدِّدةً، وَالْمُحاكَاةُ لَمْ يكُنْ الغرضُ منها مُجرَّدَ اجترارٍ للماضي واستدعائه والعيشِ في غِمَارِهِ، وإنَّمَا هو – في كثيرٍ من الأحيانِ – عمليةٌ استشرافيَّةٌ؛ يتواصَلُ بِها الشُّعراءُ مع ماضيهم، فيربطُونَهُ مع حاضِرِهِمْ، وواقعْهُمْ، فَيستشْرِفُون به الْمُستقبلَ، وهي عمليَّةٌ ليستْ هيِّنَةً في النَّصِّ الأدبي، بَلْ هي تَحتاجُ إلى قدرٍ كبيرٍ مِنْ الوعي والإدراك؛ لاختيارِ مَا يصلُحُ لِهَذَه العمليَّةِ مِنْ التُّراثِ.

ولِذَا فَإنَّ الشُّعراءَ عدُّوا القرآن الكريم أَحَدَ الْمَصَادِرِ الأساسيَّةِ التي نَهلُوا مِنْ ينابيْعِهَا، فَأَضْفَى هَذَا علي تجاربِهِمْ ثَرَاءً وتنوُّعًا، وأَكْسَبَ قَصَائِدَهُمْ أبعادًا مُختلفَةً (دينيَّةً، تاريخيَّةً، حضاريَّةً..). وليس كُلُّ الشُّعراءِ يَملكُوا تلك الْمَقدرةَ ، بَلْ إنَّ تلك التِّقنيةَ الفَنيَّةَ تَحتاجُ إلى وعيٍ عميقٍ بالتُّراثِ؛ كأحدِ الْمُنطلقاتِ الرَّئيسَةِ للعمليَّةِ الإبداعيَّةِ، وتَحتاجُ أيضًا إلى مَقدرَةٍ خاصَّةٍ لِتَحقيقِ التَّوازُنِ بينَ التُّراثِ وَالْمُعَاصرَةِ، وبذلك يتحقَّقُ في معماريَّةِ القصيدةِ الشِّعريَّةِ وأبنيتِهَا السَّامقَةِ كلاسيكيَّةٌ جديدةٌ، تجمع بين تفجير التُّراثِ بكُلِّ طاقته الكامنة، فتُعطي للقصيدَةِ مُعطياتٍ حيَّةً؛ نابضَةً مَصبوغَةً بصِبْغَةٍ شعريَّةٍ خاصَّةٍ، فيها

نوعٌ من فيها نوعٌ من انسجامٍ وتَّوحُّدٍ وتفاعُلٍ واحتواءٍ وتواصُلٍ بين اَلْماضِي والحاضِرِ اللَّذين لا يُغني كُلٌّ منهما عن الآخَرِ.(١)

ولأنّ التُّراثَ يُمثِّلُ عمليَّةً ابتكاريَّةً تدلُّ على نُبُوغِ الشَّاعرِ في العمليَّةِ الأدبيَّةِ، فإنَّ التناص مع القرآن الكريم هو أَحدُ أَهَمِّ تلك الرَّوافِدِ اَلْمُهمَّةِ، والتناص معه حد في ذَاتِهِ يتفرَّعُ عِدَّةَ تفاريعَ مُهمَّةٍ؛ لَعَلَّ مِنْ أَهَمِّهَا (التناص مع اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ لَفْظًا وَمَعْنًى (اَلتَّنَاصُّ اَلْمُبَاشِرُ)، التناص مع مَعَانِي اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ (اَلتَّنَاصُّ غَيْرُ اَلْمُبَاشِرِ).

إنَّ اَلتَّنَاصَّ مع أَلْفَاظِ وَمَعَانِي اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ كان أحدَ الرَّوافِدِ الثَّقافيَّةِ للأديبِ العربي؛ سواءً كان شاعرًا أو ناثرًا، يَمدُّه بالصُّوَرِ واَلْمَعَاني والتَّشبيهَاتِ اَلْمُتميِّزَةِ، فَلَقَدْ أَدْرَكَ الأدباءُ العَرَبُ مَا تَحملُهُ لُغَةُ القُرآنِ الكريم؛ من بيانٍ وبلاغَةٍ، وروعَةٍ في التَّعبيرِ أَضْفَى عَلَى الأَلْفاظِ العربيَّةِ مَعَانيَ ومَدلُولاتٍ عميقَةً، وبِهذِه الدَّلالاتِ اَلْجديدَةِ التي اكْتَسَبَتْهَا الألفاظُ العربيَّةُ اَلْمُستعملَةُ في القرآنِ الكريم بَدَتْ وكَأَنَّها أَلْفاظٌ جديدةٌ في حياةِ اللُّغَةِ العربيَّةِ، فَدَخَلَتْ هذه الألفاظُ في ضميرِ الفِكْرِ العربيِّ، فَاستعملَهَا العَرَبُ تأثُّرًا بِأُسلُوبِ القُرآنِ الكريم في أَشْعَارِهِم وخُطَبِهِم ورَسَائِلِهِمْ.(٢)

ومن السِّماتِ العامَّةِ التي تُميِّزُ شعرَ الجهاد –الحروبِ الصَّليبيَّةِ –كَثْرةُ التناص مع القُرْآنِ الكريمِ، وإنْ كان القرآنُ الكريمُ مُنذُ عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ يُوظَّفُ في النَّصِّ الأدبي، وذلك لأنَّ القُرآنَ الكريمَ يَحملُ قداسةً خاصَّةً في قلبِ كُلِّ

(١) انظر: الحداثة في الشعر العربي المعاصر، لمحمد حمود، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٦م ، ط١، (ص ٧٩ – ٨٠) .

(٢) انظر: أثر القرآن الكريم في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، لابتسام الصفار، مطبعة اليرموك، بغداد، ١٩٧٤م، (ص١٧– ١٨) .

مُسلِمٍ – ومن غير المسلمين أيضًا – تلك القَدَاسَةُ تَجعلُ الشَّاعِرَ بوعيٍ أو بغير وعيٍ يستلهم التناص مع النَّصِّ القُرآني في شِعْرِهِ، وفَضْلًا عن تلكَ القَدَاسَةِ التي يتمتَّعُ بِها القُرآنُ الكريمُ فَهُوَ أيضًا كيانٌ لُغويٌّ وبنيَويٌّ له حضورٌ خاصٌّ في الحياةِ العامَّةِ لِكُلِّ العَرَبِ – حتي من غير المسلمين – فهو مُتغلغِلٌ في نسيجِ الحياةِ اليوميَّةِ، والبِنْيَةِ الفِكريَّةِ للفَرْدِ العربي، بِأُسلُوبِهِ اَلْمُعجزِ، وبيانِهِ الآخَّاذِ، فقد أُخِذَ الكُفَّارُ ببلاغَتِهِ، وجَمَالِ بَيَانِهِ حتى قال الوليدُ بن اَلْمُغيرةِ:"واللهِ إنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وإنَّ عليه لَطَلَاوَةً، وإنَ أعْلَاهُ لمِثمرٌ، وإنَّ أسفَلَهُ لمُغْدِقٌ، وإنَّهُ يعلُو ولا يُعلى عليه".(١)

وَمِنْ ثَمَّ لم يكن بِدعًا أن يستعين شاعرُ الجهاد في تلك المُدَّة– الحرُوب الصَّليبيَّةِ –بالنَّصِّ القُرآني بل هُوَ امتدَادُ لِحلَقَةٍ طَويلةٍ مِنْ هَذَا التَّوظيفِ بَدأَتْ مُنْذُ عهدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَإِنْ كانَ التناص هنا اَتَّخذَ مِنْ القُرآنِ الكريمِ وسيلةً لاستنهَاضِ الوَاقِعِ العربي اَلْمُتهاوِي في عَصْرِهِ، فَاستلْهَمَ منه ما يخدمُ قضيَتَهُ ضِدَّ الصَّليبيين، وجعلَ مِنْ القُرْآنِ الكريمِ مِصْبَاحًا مُنيرًا في غَابَاتِ الوَاقِعِ اَلْمُظلمِ اَلْمُلتفِّ بِأَشْجَارِهِ الكثيفَةِ، وهُوَ كَالحِلْيَةِ الثَّمينَةِ في البيتِ الشَّعري، ومِنْ ثَمَّ فَإِنَّ القُرْآنَ الكريْمَ يُلْقِي أضواءً تواصليَّةً على النَّصِّ الشِّعرى، فيُحدثُ نوعًا من أنواعِ الاتِّصالِ اَلْمُباشِرِ بين النَّصِّ اَلْحَاضِرِ (الشِّعري) والنَّصِّ الغَائِبِ (القُرآنِ الكريمِ)، فَيُضفِي هالةً مُقَدَّسَةً على النَّصِّ الشِّعريّ، فيستطيعُ الشَّاعِرُ أَنْ يُحدث تناص مع اَلأَلْفَاظَ واَلْمَعَاني التي يُريدُ إيصالَها في النَّصِّ الشِّعري، فتلقَى صدَى لَدَى اَلْمُتلقِّي لِمَا تَحملهُ في طَيَّاتِها من ألفاظِ ومعاني

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، (٢/٥٥٠/ حديث رقم:٣٨٧٢)، وينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، (١٠/٢٩٩/حديث رقم:٧٢٧٣).

مُقدَّسَةٍ لديه، لذَا فإنَّ القُرآنِ الكريمِ يُعَدّ "أَنْجَحُ الوَسَائلِ، وذلك لخاصيَّةٍ جوهريَّةٍ في هَذِهِ النُّصُوصِ، تلتقِي مع طبيعَةِ الشِّعْرِ نَفْسِهِ، وهي أَنَّها مِمَّا ينزعُ الـذِّهنُ البَشَرِيُّ لِحِفْظِهِ، وَمُداوَمَةِ تَذَكُّرِهِ،... فَلَا تَكَادُ ذاكرةُ الإنسانِ في كُلِّ العُصُورِ تَحرصُ علَى الإِمْسَاكِ بِنَصٍّ إِلَّا إذا كَانَ دِيْنِيًّا، أو شِعْرِيًّا، وهي لا تَمسكُ بِهِ حِرْصًا على مَا يقولُهُ فَحَسْبُ، وإِنَّما على طريقةِ الكلامِ وشَكْلِ الكَلامِ أيضًا".(١)

وهكذا أقبلَ الشُّعراءُ على القرآنِ؛ يقتسبون كلماتِهِ، ويوظِّفُون عباراتِهِ، ويتدبَّرُون مَعَانِيَه، ويهتدون بِنُوْرِهِ، وتَمثَّلُوا بِنَظْمِهِ، واستضاءوا بِعِبَرِهِ وَعِظَاتِهِ. فقد ظلَّ القُرآنُ الكريمُ مَنْهَلًا غَدَقًا، ونَبْعًا ثَرِيًّا لَم ولَنْ يَجِفْ، ولكنَّ الشُّعراءَ على اختلافهم اختلفوا كُلٌّ حَسْبَ توجُّهِهِ، ومَغْزَى توظيفِهِ للتُّراثِ، فلقد احتوَى القُرآنُ الكريمُ عَلَى صُوْرةٍ فنيَّةٍ شديدةِ القُوَّةِ والتَّأثيرِ فَاقَتْ كَلَامِ البَشَرِ في صِيَاغَتِهِمْ للصُّوَرِ الفَنِّيَّةِ في نَقْلِ الْمَشَاعِرِ وَالأَحَاسيسِ لِلْمُتلقِّي(٢)، وإنَّ الصُّورةَ الفَنِيَّةَ الْمُتخيَّلَةَ خَصيْصَةٌ مِنْ خَصَائِصِ القُرْآنِ؛ للتَّعبيرِ عَنْ الْمَعْنَى الذِّهْني والحَالَةِ النَّفسيَّةِ، وعن النَّمُوذَجِ الإِنْسَاني والطَّبيعَةِ البَشَريَّةِ(٣). فالصُّوْرَةُ القُرْآنيَّةُ أيضًا تَحملُ أَلْفَاظًا مُوْجَزَةً، بِالإِضَافَةِ إلى أنَّ الصورة القرآنية صورة

(١) إنتاج الدلالة في شعر أمل دنقل، لصلاح فضل، مجلة فصول، العدد الأول، ١٩٨٠م، (ص٢٣).

(٢) انظر: أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي، لمحمد العاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، د.ت،(ص١٧٦).

(٣) انظر: التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب، دار المعارف، مصر، ط٤، د.ت، (ص٣٤).

يستطيع متلقيها أن يحسها ويتخيل لها رسمًا في بصره[١]، كما أنَّ الصورة القرآنية عُنيت بخطاب الوجدان الإنساني؛ لتُشغلَ كلَّ حواسه ومشاعره[٢].

وَإِذَا قُمْنَا بِإطلالَةٍ سريعةٍ على شكل التناص مع التُّراثِ الدِّيني وأَثَرِ البَصمَاتِ القُرآنيَّةِ في القَصِيْدَةِ الشِّعريَّةِ – فِيْمَا قَبْل القرن السادس – نَجِدُ اِسْتِلْهَامًا للقُرْآنِ الكريمِ والتُّراثِ الدِّيني بِشَكْلٍ عامٍّ. فَنجدُ – مثلاً – حَسَّانُ بن ثابت يقولُ: [٣][بحر الطويل]

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ ... مِنْ اَلرُّسْلِ وَالأَوْثَانُ فِي اَلأَرْضِ تُعْبَدُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنْ التُّقَى ... وَلَاقَيْتَ بَعْدَ اَلْمَوْتِ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُوْنَ كَمِثْلِهِ ... وَأَنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا

فَالشَّاعِرُ هُنَا اِسْتَلْهَمَ فترةً زمنيَّةً مُعيِّنَةً، وهِيَ قبل مجي الرسول ﷺ وبعد مجيئه، فأراد بذلك أن يُقارنَ بين حِقْبَتَينِ اختلفَت فيهما أحوالُ العِبَادِ والبِلَادِ، فَالْهَدَفُ لدى حسَّانِ التَّصويرُ والْمُقارنَةُ بين الْمَاضي والوَضْعِ الحالي، فهي دعوةٌ يهدفُ من خِلالها إلى إقناعِ الْمُتلقِّي بضرورةِ الإيمانِ بتلكَ الدَّعْوَةِ، وهذا التناص يُوضِّحُ أنَّ التناص الدِّيني في القصيدةِ مُتأصِّلٌ فيها؛ مِمَّا جعلهَا في بعضِ الأحيانِ وسيلةً لِتَحْقِيْقِ أَغْرَاضِ الشَّاعِرِ أو توضيحِ مَوَاقِفِهِ.

---

(١) انظر: أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، لشلتاغ عبود شرّاد، دار المعرفة، دمشق، د.ت، (ص١١٤) .

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه (ص١١٢)، والاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، لعبد الهادي الفكيكي، دار النمير، ط١، دمشق، ١٩٩٦م، (١٣) وما بعدها.

(٣) ديوان حسان بن ثابت (ص٨٢)، وينظر: سمط النجوم العوالي، لعبد الملك العصامي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م،(٣٩٠/١).

وكذلك نجدُ **عبدالله بن الحارث** يتناص مع قِصَصَ القُرْآنِ الكَرِيمِ عَنْ الأُمَمِ السَّابِقَةِ فيقولُ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ: [1][بحر الطويل]

وَتِلْكَ قُرَيْشٌ تَجْحَدُ اللهَ حَقَّهُ كَمَا جَحَدَتْ عَادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرَ

فهذا التناص مُستلهمٌ من القَصَصِ القُرآني، ويهدفُ إلى الْمُشابهةِ بين تلك الأقوام التي كذَّبتْ الرُّسُلَ، وحاربتهم، وبيَّنَ قُريشَ التي سارت علي النَّهْجِ ذَاتِهِ، فَهَذَا التناص لا يَخلُو مِنْ هَدَفٍ وَاضِحٍ، وهو التَّحذيرُ والتَّذكيرُ؛ تحذيرُ قريش بعاقِبَةِ أعمالِهِمْ – بطريقٍ غيرِ مُباشرٍ –فالْمُواربَةُ هُنَا تجعلُ لِسَانَ حَالِ الأبيَاتِ يتحدَّثُ قائلًا: أَترغبُونَ أَنْ تكونَ نِهايتكم كنهَايَةِ مَنْ قبلكم – والهدفُ مِنْ تِكْرارِ ذِكْرِ تكذيبِ الرُّسُلِ التَّنبيهُ علَى أنَّها عادةٌ إنسانيَّةٌ – وذلك للرَّبْطِ على قُلُوبِ الْمُؤمنينَ، وكأَنَّهُ دَوَاءٌ يُضَمِّدُ جِرَاحَهُمْ لا تَحْزَنُوا، فَهُنَاكَ مَنْ عَانى مثلكم، بل وذاق الأمرَّين في سبيلِ تَحقيقِ دَعْوَاهُ، وفي نِهايَةِ الأَمْرِ انتصرَ، فَلَا تَيْأَسُوا، فَالْغَلَبَةُ لَكُمْ في نِهَايَةِ الأمرِ؛ لأَنَّها سُنَّةُ اللهِ في كَوْنِهِ. وما زلنا في العَصْرِ ذَاتِهِ فنجدُ **عبد الله بن رواحة** يقولُ:[2] [بحر الوافر]

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِيْنَا

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ه، (٣٩٦/٢)، وأسد الغابة، لابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م،(١٠٢/٣)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عاصم النمري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، (٨٨٥/٣).

(٢) انظر:سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٩٩/١)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م ، (١١٤/١٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٢٩٦/٢)، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق: محمود الطناحي، دار هجر للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤١٣ه (٢٦٤/١)، والبداية والنهاية (١٢/١).

فَهَذَا اَلْبَيْتُ مِنْ القُرْآنِ الكَرِيمِ في قوله تعالى:﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[1]، وهو تناص لفظيٌّ ومعنويٌّ، ويهدفُ **عبد الله بن رواحة** منه إلى تأكيدِ فِكْرَتِهِ وتَوْضِيْحِهَا.

ومنه أيضًا للشَّاعِرِ نَفْسِهِ: [2] [بحر الطويل]

وَفِينَا رَسُوْلُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا اِنْشَقَّ مَعْرُوْفٌ مِنْ اَلْفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا اَلْهُدَى بَعْدَ اَلْعَمَى ، فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيْتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اِسْتَثْقَلَتْ بِالْكَافِرِيْنَ اَلْمَضَاجِعُ

فَالْبَيْتُ اَلْأَخِيرَ تَنَاص مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[3]، وذلك في دلالةٍ واضحَةٍ على قُوَّةِ هَؤلاءِ اَلْمُؤمنين الَّذِين تأبى أجسادُهُم الرَّاحَةَ مِنْ أَجْلِ الصَّلاةِ، فكيفَ حَالُهُمْ في الجِهَادِ، فالتناص هُنَا هَدَفُهُ ضَرْبُ مِثْلٍ على مَدَى الصَّلابَةِ وقُوَّةِ البَأْسِ التي يتمتَّعُ بِهَا هَؤلاء اَلْمُسلِمِين الأوائلُ، فَلا خَوْفٌ عَلَيهِمْ مِنْ دُخُولِ مِضْمَارِ اَلْحَرْبِ، فَهُمْ مُؤهَّلون لذلك، متأهِّبُون لَهُ. وإذا انتقلنا إلى العَصْرِ الأُمَوِيِّ نجدُ **الشَّاعِرَ** الحزين الدّيلي يقولُ: [4][بحر الوافر]

إِذَا مَا كُنْتَ مُفْتَخِرًا بِجَدٍّ ... فَعَرِّجْ عَنْ أَبِي لَهَبٍ قَلِيْلَا

فَقَدْ أَخْزَى الإِلَهُ أَبَاكَ دَهْرًا ... وَقَلَّدَ عُرْسَهُ حَبْلًا طَوِيْلَا

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٤.

(٢) انظر: التاريخ الصغير، للبخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م، (٢٣/١)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (١٠٥/٢٨)، وطبقات الشافعية، للسبكي (٢٦٥/١)، وأسد الغابة، لابن الأثير (٤١٤/٧).

(٣) سورة السجدة، الآية:١٦.

(٤)الأغاني (١٦/ ٣٨٣) دار إحياء التراث العربي

فالتَّناص هُنَا لشخصيَّاتِ التَّاريخ؛ وهي تنتمِي إلى التَّاريخِ الدِّينِي، وذلكَ بِهَدَفِ التَّوبيخِ والتَّهكُّمِ، وتوضيحِ فِكْرَتِهِ فِي الْهِجَاءِ. وهكَذَا الحالُ في العَصْرِ العباسِي، فنجدُ **أبا تَمَّامٍ** يستلهِمُ قِصَّةَ سيدنا يُوْسُفَ؛ كما وردت في القرآن الكريمِ، فقد اعتاد أبو تمام على مدح عبد الله بن طاهر، والي خراسان، وكان جوادًا كريمًا من بين شاعر وزائرٍ، ولكن الرجل حجب أبا تمام أياماً، فكتب إليه أبو تمام يقولُ: (١)[بحر الخفيف]

أَيُّهَـذَا الْعَزِيْـزُ قَـدْ مَسَّـنَا الضُّـرُّ جَمِيْعًـا وَأَهْلُنَـا شَـتَاتُ
وَلَنَـا فِـي الرِّحَـالِ شَـيْخٌ كَبِيْـرٌ وَلَـدَيْنَا بِضَـاعَةٌ مُزْجَـاةُ
فَاحْتَسِبْ أَجْرَنَـا وَأَوْفِ لَنَـا الْكَيْـلَ وَتَصَـدَّقْ فَإِنَّنَـا أَمْـوَاتُ

والتناص هُنَا لِقِصَصِ القُرْآنِ الكريمِ بِلَفْظِهَا ومَعْنَاهَا، **فعبد الله طاهر** حجب الشاعر هو ومجموعة من الشعراء، فكتب إليه هذه الأبيات مُستعطفًا، فوجْهُ الْمُشابَهةِ هُنَا أَنَّ أخوات يوسف مَرُّوا بحالةٍ من حَالاتِ الضَّررِ، جَرَّاءَ مَا أصابَهُمْ من قَحْطٍ؛ نتيجَةَ حَجْبِ عزيزِ مِصْرَ لَهم من الدُّخولِ والتَّزوُّدِ بالبِضَاعَةِ، فوقفُوا علي باب أخيهم يوسف يطلبوا منه المساعدة، كما أشار في ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:**﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾**(٢)، وكذلك أبو تمام نتيجة حجب **عبد الله طاهر** له مرَّ

(١) أخبار أبي تمّام، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٥هـ)؛ تحقيق محمد عبده عزام وخليل محمود عساكر ونظير الإسلام الهندي، ط٣، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م(٢٩/١)،وينظر: ثمار القلوب، للثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،ط١، القاهرة، ١٩٦٥م، (٢٣١/١)، ومشكلة السرقات الأدبية في النقد العربي، لمحمد مصطفي هدارة، مكتبة الأنجلو المصرية، (ص٤٧).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٨.

بنفسِ حالةِ الضَّرر، فطَلَبَ منه رفعه كما فعلَ إخوةُ يوسفَ، فالتناص هُنَا أتى مُحاكاةَ حالٍ بِحالٍ، ومُشابَهةَ وضعِ أبي تمام ومن معه بوضع إخوة يوسفَ، وكأنَّهُ رأى ذاته في هذا القّصَصِ القُرآني، فأراد أن يُعبِّرَ عَنْهُ بلفظه لِمَا لَهُ مِنْ قُدسيَّةٍ وجلالٍ؛ يُضفيهِ على النَّصِّ الأدبي.

وفي هذا الإطارِ يُمكننا القولُ: إنَّ اَلتَّنَاصَّ مَعَ اَلتُّرَاثِ اَلدِّينِيِّ ارتبطَ بالبَحْثِ عَنْ اَلْهويَّةِ الإسلاميَّةِ للشّعرِ العربي .حيثُ أَضْحَى التُّراثُ الدِّيني يُمثِّلُ طاقَةً إبداعيَّةً، تَجسَّدَتْ في مُحاولاتِ الشُّعراءِ توظيفه، وتأكَّدت أهميتُهُ من خلالِ ارتباطِهِ بالواقعِ السِّياسِي والحَضَاري للأُمَّةِ العَربيَّةِ، وظهرَ إبداعُ الشُّعراءِ؛ حيثُ مزجُوهُ بإبداعِهِمْ الفني، مِنْ خِلالِ رُؤيتهم، له رؤيةٌ جديدةٌ في ضُوْءِ اَلظُّرُوفِ الاجتماعيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ والثَّقافِيَّةِ اَلْمُعَاصِرَةِ لَهُمْ، إذْ ذَهَبَ الشَّاعِرُ يَختارُ مِنْ التُّراثِ الدِّيني وصُوَرِهِ مَا يرَاهُ صَالِحًا للتَّعبيرِ عَنْ أَفْكَارِهِ وَقَضَايَا، وتَهمُّ مُجْتَمَعَهُ بهدف طرح وجهة نَظَرِهِ تِجاه الواقعِ من خلال الماضي؛ بُغْيَةَ تَغْيِيره.

وهكذا فإنَّ التناص مع القُرآنِ الكريمِ –في القرن السادس–، إنَّمَا هُوَ امتدادٌ لتلكَ الحلقةِ اَلْمُتَّصلَةِ للتَّوظيفِ بين العُصُور، ومِنْ ثَمَّ فقدْ اتِّخذَ التناص مع القرآنِ الكريمِ فِي شِعْرِ اَلْجِهَادِ اَلْحُرُوبُ اَلصَّلِيبِيَّةُ أشكالًا مُتعدِّدَةً وطرقًا مُختلفةً، وسنكشفُ في الصّفحات التَّاليةِ أَهَمَّ تلك الرَّوافِدِ التي تَمَّ تَوظِيْفُهَا في شِعْرِ اَلْجِهَادِ إبَّان اَلْحُرُوبُ اَلصَّلِيبِيَّةُ؛ ودورِهَا الذي لعبته في القَصيدةِ.

وَقَدْ تَنَاوَلَتْ اَلتَّنَاصَّ فِي شِعْرِ اَلْجِهَادِ فِي مَبْحَثَيْنِ :

اَلْمَبْحَثُ اَلأَوَّلُ:

أَشْكَالُ اَلتَّنَاصِّ مَعَ اَلأَلْفَاظِ اَلْقُرْآنِيَّةِ بُغْيَةَ تَأْصِيلِ اَلثَّقَافَةِ اَلإِسْلَامِيَّةِ فِي شِعْرِ جِهَادِ اَلْحُرُوبِ اَلصَّلِيبِيَّةِ (اَلتَّنَاصّ اَلْمُبَاشِر)

إِنَّ اَلتَّنَاصَّ اَلْمُبَاشِرَ لِلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ لَفْظًا وَمَعْنًى بغيــة تأصــيل الثقافــة الإسلامية ، هو دلالةٌ قاطعةٌ على مدى تداخل الشعراء مع آياته الشَّريفَةِ إِلــى الدَّرجَةِ التي أوصلَتْهُ إلى أنْ يرى في آيَاتِهِ الكريْمَةِ خيرَ مَا يُعبِّرُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَمُنْذُ فَجْرِ اَلإِسْلَامِ والشَّاعِرُ يستلهِمُ مِنْ آياتِ القُرْآنِ الكريْمِ – كَمَا سَبَقَ –أَمَّــا عَصْرُ شعر جهاد الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ، فَقَدْ كَانَ لَهُ خُصُوصِيَّةٌ جعلته مِنْ أكثــرِ العُصُورِ حَاجَةً إلى هذا التناص مع القُرْآنِ الكريم، وذلك أنَّ شَغَفَ اَلْخَاصَّــةِ والعَامَّةِ في ذلك الوَقْتِ هُوَ اَلْجِهَادُ في سبيلِ الله؛ لِصَدِّ الصَّلِيبِيين إلى أَرْضِهِمْ، وبالتَّالي لا يُوجدُ مَنْبعٌ يُستقى منه مَا يَحَضُّ النَّاسَ عَلَى ذلك، وَيَحثُّهم وَيَستدعِي تلكَ الرُّوحَ اَلْجِهَادِيَّةِ، أكثر مِنْ القرآنِ الكريمِ ، وإيمانًا بذلك انطلق الشُّعراءُ مع القُرآنَ الكريْمَ في مُخْتَلَفِ اَلأَغْرَاضِ فمثلًا عندما نجدُ الشَّاعِرَ النَّسَّابَةَ اَلْمِصْرِي اَلْمعروفَ **بالجواني**[1] في قصيدته التي ألقاها في تَهْنِئَةِ صَلاحِ الــدِّينِ بفــتحِ القُدْسِ نَجدُهُ يقولُ:[2] [بحر الكامل التام]

---

(١) الجواني: (٥٢٥-٥٨٨ هـ): الشريف النقيب العالم النسابة أبو علي محمد بن الشريف أبي البركات أسعد بن علي بن معمر بن عمر بن علي الحسيني الجواني، شرف الدين الجواني المالكي، والجواني: نسبة إلى الجوانية وهي بفتح الجيم وتشديد الواو وفتحها وبعد الألف نون وياء مشددة، وقيدها بعضهم بالتخفيف، وهي من عمل المدينة من جهة الفرع، وذكر أن الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب رحمه الله وقع له بربعها وأنه نفذ من ينوب عنه فيها، عالم بالأنساب،أصله من الموصل، ومولده ووفاته بمصر،ولي نقابة الاشراف فيها مدة. توفي سنة (٥٦٤٩هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (١٣١/٦)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري (٤٠٢/١).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢٨/٤١)، وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (٥٥٩/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٣٧١/٣)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري (٦٥/١)، والقدس في شعر الحروب الصليبية، لصبري فوزي، دار الكتب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٥م، (ص١٢١).

قَـدْ جَـاءَ نَصْـرُ اَللهِ وَالْفَـتْحُ اَلَّـذِي ... وَعَـدَ اَلرَّسُـوْلُ فَسَـبِّحُوا وَاسْـتَغْفِرُوا
فَـتَحَ الشَّـامَ وَطَهَّـرَ اَلْقُـدْسَ اَلَّـذِي ... هُـوَ فِـي اَلْقِيَامَـةِ لِلأَنَـامِ اَلْمَحْشَـرُ
يَـا يُوْسُـفُ اَلصِّـدِّيْقُ أَنْـتَ لِفَتْحِهَـا ... فَارُوْقُهَـا عُمَـرُ اَلإِمَـامُ اَلأَطْهَـرُ
وَلَأَنْـتَ عُثْمَـانُ اَلشَّـرِيْعَةِ بَعْـدَهُ ... وَلَأَنْـتَ فِـي نَصْـرِ اَلنُّبُـوَّةِ حَيْـدَرُ

فالشَّاعرُ جعلَ الأبياتَ غابَةً مُتشابِكَةَ الأَغْصَانِ تَتَخَلَّلُها آياتُ القُرْآنِ الكريمِ فِي كُلِّ غُصْنٍ منها، فَهُنَاكَ تَنَاصٌّ مَعَ قوله تعالى:﴿**إِذَا جَاءَ نَصْـرُ اَللهِ وَالْفَتْحُ**﴾[1] وَهُوَ تَنَاصًّا مُبَاشِرًا لِلَّفْظِ وَالْمَعْنِيِّ ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ آخرُ، وهو تناص من خِلالِ اضْفَاءِ العديدِ مِنْ الصِّفَاتِ مِنْ شَخصيَّاتٍ مُختلفةٍ لصلاحِ الدِّينِ مِنْ القُرْآنِ الكَريمِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ الشَّريفةِ؛ لِيُعَمِّقَ التَّوظيفَ في النَّصِّ القرآني، مُوظِّفًا في ذلكِ تَشَابَه الأسماءِ، فاستعارَ لَهُ في البِدَايَةِ مُسمَّى الصِّدِّيق الذي أطلقه القرآن الكريم علي سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى:﴿**يُوْسُـفُ أَيُّهَـا اَلصِّدِّيْقُ**﴾[2]، ثُمَّ ألبسه ثَوْبَ عُمَرَ بن الخطاب[3]، في إحقاقِهِ للحَقِّ، وتفريقِهِ الحقَّ عَنْ البَاطِلِ، وكَسَاهُ ثَوْبَ عثمان بن عفَّان في تطبيقه للشَّريعةِ، فهكذا حدث في الأبياتِ تناص مع القرآن الكريم بلفظه ومعناه، وتعانقت معه أقوالُ الرسول ﷺ، فاكتسبتْ القصيدةُ هالةً من التَّقديس أَحَاطَتْ بِهَا، ولا شكَّ أنَّ القارىءَ **لتلك القَصيدَةِ، يستحضِرُ الرُّوحَ الدِّينيَّةَ للقُرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ الشَّريفَةِ التي أحاطَ الشَّاعرُ القَصِيْدَةَ بهَا، وكأنه يحاول أن يُرسِّخَ الثقافة الإسلامية في شعره للحثِّ علي الجِهَادِ.**

---

(١) سورة النصر، الآية: ١.

(٢) سورة يوسف، الآية:٤٦.

(٣) قال رسول الله ﷺ:«إنَّ اللّه جعل الحقَّ على لِسَانِ عُمَرَ، وَقَلْبُهُ، وهو الفَارُوقُ، فرَّقَ اللّهُ بِه بينَ الحقِّ والبَاطِلِ». وعن أبي عمر ذكوان قال: "قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق؟ قالت: النبيﷺ. الحديث رواه أحمد في مسنده، دار التراث،(٥٣/٢). وانظر: المعجم الكبير، للطبراني (٢٩٥/٦/حديث رقم:١٢٥٠٣)، والمستدرك، للحاكم (٩٣/٣/ حديث رقم: ٥٤٠١).

وقد كَثُرَ لَدَى شَاعِرِ جهاد الحُرُوبِ الصَّلِيبيَّةِ توظيفُ تناص مع قِصَّةِ سيدنَا يوسُفَ عليه السلام كما ساقها القرآنُ الكريمُ، وذلك في إطارِ التَّسميَةِ الْمُشتركةِ بينَ النَّبي يوسف عليه السلام، وصلاح الدين يوسف بالإضافةِ إلى الخصائص الْمُشتركةِ بينهم (النَّشْأَةُ الْمِصْرِيَّةُ، الصِّدْقُ، الْأَمَانَةُ...)، بالإضافة إلي تشابُهِ النِّهَايَاتِ، حيثُ التَّمكينُ والنَّصرُ في النِّهايَةِ، فَهُوَ مَعْ الاخْتِلافِ في التَّفَاصِيلِ، إِلَّا هُنَاكَ اتِّفاقٌ في الكثيرِ من العُمُوميَّاتِ، مِمَّا أتاحَ للشُّعراء الرَّبطَ بينهما، وإحداث تناص مع ما جاءَ في القُرآنِ الكريمِ و النَّصِّ الشِّعري، بطريقةٍ أَضفَتْ ظِلالًا مِنْ التَّوَاصُلِ الفَعَّالِ بينَ الْمَاضِي والحاضرِ فَأصبحَ النَّصُ الغَائبُ ظَاهِرًا بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ، وأصبحَ الشَّخصُ الغَائبُ حَاضرًا أَيضًا في النَّصِّ الشِّعري، فخلقَ نوعًا مِنْ التَّواصلِ بينَ الشِّخصيَّاتِ والنُّصُوصِ، وهَذَا التَّواصُلُ تَحقُّقُ بتوظيفِ التُّراثِ الدِّيني في النَّصِّ الشِّعْرِي.

وإذا قُمْنَا برحلةٍ في شِعْرِ جهاد الحُرُوبِ الصَّلِيبيَّةِ؛ لِنرَى عُمْقَ الرَّبطِ بينَ الشَّخصيَّتَين لَدَى شُعَراءِ تلكَ الْمَرحلَةِ؛ نرى قصيدةً **لعرقلة الكلبي**(١) مُهَنِّئًا صلاح الدين بِمُنَاسَبَةِ الْخَلَاصِ مِنْ شَاوَرَ وفَسَادِهِ: [بحر الطويل]

هَنِيئًا لِمِصْرَ حَوْزُ يُوسُفَ مُلْكَهَا ... بِأَمْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ كَانَ مَوْقُوتَا(٢)

وَمَا كَانَ فِيهَا قَتْلُ يُوسُفَ شَاوَرًا ... يُمَاثِلُ إِلَّا قَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَا

---

(١) عرقلة الكلبي (٤٨٦-٥٦٧هـ):حسان بن نمير بن عجل الكلب أبو الندي، شاعر من الندماء، كان من سكان دمشق، واتَّصل بالسُّلطان صلاح الدين الأيوبي فمدحه ونادمه، ووعده السلطان أن يعطيه ألف دينار إذا استولى على الديار المصرية.انظر: معجم تراجم الشعراء الكبير، ليحيي مراد، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، (٥٣٢/٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٤٣٣/١٦)، وحسن المحاضرة، للسيوطي (٢١٥/٢)، وسمط النجوم، للعصامي (٧/٤)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (١٣٧/٢)، ونور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية ، لمحمود فايز السرطاوي، دار البشير للنشر، عمان، الأردن، ١٩٩٠م، (ص١١١).

يقولُ الله تعالى:﴿**وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**﴾[1].

فعرقلة الكلبي هُنَا يتناص شعره مع الآيةَ الكريمةَ بلفظها ومعناها، وهو تمثيل حالةٍ بِحالَةٍ، حيثُ تظهرُ الآيةُ الكريمةُ انتصَارَ الحقِّ عَلَى البَاطِلِ، وتُبرزُ لَنَا كيفَ قَتَلَ دَاوُدَ –وهو الرَّجُلُ الضَّعيفُ– جالوتَ الرَّجُلَ القَوِيَّ الشَّديدَ، فتظهرُ لَنَا التَّناقُضّ الشَّديدَ بينَ اَلْمُتَوَقَّعِ حُدُوثِه، وهو انتصارُ جالوت– والذي وقع – وهو انتصارُ داوُدَ –كما لَنَا الصِّرَاعُ تُبرزُ الأزلي بين الحقِّ والبَاطِل، والحقيقَةُ اَلْمُؤكَّدَةُ مِنْ نُصْرَةِ اَلحقِّ علي الباطلِ، فالشَّاعِرُ استعانَ بذلك في تشبُّه حالةٍ بِحالةٍ، فصوَّرَ صلاح الدين وصراعه مع الوزير الفاسد الذي استقوى بالصّليبيين، ثُمَّ قَتْلُه إِيَّاهُ بِحالةِ دَاوُد بِجالوتَ، فالشَّاعِرُ رَأى أنَّ التَّشبيهَ أو التَّلَبُّسَ جَاءَ من جهتين؛ الأولى: تنازُعُ الخيرِ والشَّرِّ، والجهةُ اَلأُخرى: اِغْتِرَارُ البَاطِلِ بقوَّتِهِ، وأيضًا خِتَامُ القِصَّتَين بِانتصَارِ اَلْخَيْرِ عَلَى الشَّرِّ، فالحالتان مُتقاربتان، فالشَّاعِرُ رَأى أنْ يُوظِّفَ مِنْ القُرآنِ الكريمِ مَا يُقَرِّبُ إِلى أَذْهَانِ اَلْمُستمعين حَالَةَ الصِّرَاعِ الدَّائِرِ بينَ الوزيرِ الفَاسِدِ وَصَلاحِ الدِّينِ، وَمِمَّا لَاشِكْ فِيهِ أَنَّ اَلتَّنَاصَّ مَعَ اَلْقِصَصِ اَلْقُرْآنِيِّ يُضْفِي سِمَةَ الجِدَّةِ والتَّوقيرِ على النَّصِّ الشِّعريِّ، ويساعد علي توثيق الشاعر بثقافته الإسلامية، فيشعر المتلقي بضرورة ردع المعتدي وتدفعه دفعًا إلي الجهاد.

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٤٩– ٢٥٠.

ومن ذلك **قول ابن الساعاتي**[١] في فتح طبريَّة مُهنِّئًا صلاح الدين:[بحر الوافر] [٢]

جَلَتْ عَزَمَاتُكَ اَلْفَتْحَ اَلْمُبِيْنَا فَقَدْ قُرَّتْ عُيُونُ اَلْمُؤْمِنِيْنَا
لَقَدْ جَرَّدْتَ عَزْمًا نَاصِرِيًّا يَحْدُثُ عَنْ سَنَاهُ طُورِ سِيْنَا
فَكُنْتَ كَيُوْسُفَ اَلصِّدِيْقِ حَقًّا له هَوَتِ اَلْكَوَاكِبُ سَاجِدِيْنَا
وَإِنْ تَكُ أَخِرًا وَخَلاكَ ذَمٌّ فَإِنَّ مُحَمَّدًا فِي اَلآخِرِيْنَا

فَالْبَيْتُ اَلثَّالِثُ يَتَنَاصّ هُنَا مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿**يُوْسُفُ أَيُّهَا اَلصِّدِّيْقُ**﴾[٣]، مُصاحبًا له حدثٍ قرآنيٍّ؛ وهو سُجُودُ الكواكِبِ ليوسف عليه السلام، حيثُ قال تعالى:﴿**إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[٤]، فابن الساعاتي رأى صِفَاتٍ تتمثَّلُ في صلاح الدين، تناولها القرآنُ الكريمُ في حديثه علي النبي يوسفَ عليه السلام، وقد فسَّر ذلك بقوله: إنَّهُ عندما يُطالعُ صلاح الدين فكأنَّهُ يَرى مرأى العين يُوسفُ الصِّدِّيقَ، ويرى مشهد سجود الكواكب له، وذلك علي سبيلِ التَّشبيهِ في صفاتِه وأفعالِهِ، ومع كونهما يحملان الاسْمَ ذَاتَهُ،

---

(١) ابن الساعاتي:(٥٥٣-٦٠٤هـ) هو علي بن محمد بن رستم بن هردوز أبو الحسن بهاء الدين بن الشاعر، شاعرٌ مشهورٌ، خراسانيُّ الأصلِ، وُلِدَ ونَشَأَ في دمشقَ، وكان أبوه يعمل السَّاعات بها، قال ابن قاضي شهبة: برع أبو الحسن في الشعر ومدح الملوك، وسكن في مصر، وتوفي بالقاهرة. انظر: معجم تراجم الشعراء، ليحيى مراد (١/ ١٠٨).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة، لابن تغري (١٢٧/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٣٠٤/٣)، كتاب الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٣/ ٣٠٥)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبدالجليل المهدي، دار البشير للنشر عمان، الأردن، ١٩٨٩م، (ص٦٥).

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٦.

(٤) سورة يوسف ، الآية:٤.

فَهُوَ الأَقْرَبُ لِيُوظِّفَ بالشَّبَهِ مِنْ يُوْسُفَ عليه السلام. ونَجِدُ الشّاعِرَ **عبدالمنعم الجلياني**[1] يربط بين الشَّخصيتين فيقولُ: [بحر البسيط] [2]

في مَشْرِقِ المَجدِ نَجمُ الدِّينِ مَطلَعُهُ ... وَكُلُّ أَبنائِهِ شُهبٌ فَلا أَفَلُوا

جاءُوا كَيَعقوبَ وَالأَسباطِ إِذْ وَرَدُوا ... عَلى العَزيزِ مِن أَرضِ الشَّامِ وَاشتَمَلُوا

لَكِنَّ يوسُفَ هَذا جاءَ إِخوَتُهُ ... وَلَم يَكُنْ بَينَهُم نَزغٌ وَلا زَلَلُ

ومن ذلك أيضًا قول العماد الأصفهاني:[بحر الطويل] [3]

وَلَمَّا صَبَّتْ مِصْرُ إِلَى عَصْرِ يُوسُفَ ... أَعَادَ إِلَيْهَا اللهُ يُوسُفَ والعَصْرَا

فَأَجْرَى بِهَا مِنْ رَاحَتَيْهِ بِجُوْدِهِ ... بِحَارًا فَسَمَّاهَا اَلْوَرَى أَنْمُلًا عَشْرَا

أَحْيَيْتَهَا مِثْلَ مَا أَحْيَيْتَ مِصْرَ فَقَدْ ... أَعَدْتَ مَنْ عَدَّ لَهَا مَا كَانَ قَدْ ذَهَبَا

---

(١) عبد المنعم بن عمر بن عبدالله الجلياني (٥٣١-٦٠٢هـ)، هو حكيم الزمان أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد اللّه بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني، شاعرٌ أديبٌ مُتصوِّفٌ، كان يقال له حكيم الزَّمانِ، من أهل جليانة؛ وهي حصن من أعمال (وادي آش) بالأندلس، انتقل إلى دمشق وأقام فيها، وكانت معشيته من الطِّبِّ يجلس علي دُكَّانِ بعض العطَّارين، كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل وأعمالهما بارعاً في الأدب وصناعة الشعر وعمل المديحات، أتى من الأندلس إلى الشام، وأقام بدمشق إلى حين وفاته، وعمر عمراً طويلاً، وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب يرى له ويحترمه ويُجِلَّهُ، ولعبد المنعم فيه مدائحُ كثيرةٌ، وله عشرةُ دواوينَ بين نظمٍ ونثرٍ. وله في صلاح الدين مدائح كثيرة، وصنَّف له كتباً، وكان له منه الإحسان الكثير والإنعام الوافر، وكان حكيم الزمان عبد المنعم يعاني أيضاً صناعة الكيمياء، وتوفي بدمشق في ستمائة. انظر: الأعلام، للزركلي (١٦٧/٤)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (١٩٥/٦)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبدالجليل المهدي، (ص٥٢١).

(٢) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (١٩٦/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (١٥٣/٢).

(٣) ديوانه (ص١٢٥)، وينظر: الروضتبن، لأبي شامة (١٩٢/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (١٣٥/٢).

ويقول أيضًا الرشيد النابلسي:[١][بحر البسيط] [٢]

مَا أَبْهَجَ الدِّيْنَ وَالدُّنْيَا بِمَالِكِهَا الصِّدِّيقِ يُوسُفَ لَا لَاذَتْ بِهِ الْغَيْرُ
مَلِكٌ تَسَاوَى جُمَادَى فِي الْجِهَادِ وتَمُّوزَ لَدَيْهِ وَضَاهَى نَاجْرًا صَفَرُ
صَبْرٌ جَمِيْلٌ كَطَعْمِ الشَّهْدِ فِي فَمِهِ وَعِنْدَ كُلِّ مَلِيْكٍ طَعْمُهُ الصَّبْرُ

في إطار ما سبق يتَّضحُ مدى ارتباط البُعدِ الوطني بالبُعدِ الدِّيني، حيثُ تتَّخذُ القصائدُ من الحِسِّ الوطنيِّ موضوعًا لَها، فترتبطُ الوطنيَّةُ بالإسْلامِ، وبالتَّاريخِ الإسلامي؛ مُمثلًا ذلك في النَّصِّ القُرآني ، حيثُ تبدُو العلاقَةُ قويَّةً، حيثُ تداخلَ التُّراثُ مَعَ القصيدةِ، وكأنَّهما نسيجٌ واحدٌ، وخُصوصًا وَقَدْ كَانَ اَلتَّنَاصُّ هُنَا مَعَ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ مُبَاشِرًا بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ ، وكأَنَّهُ اِسْتَعَارهُ الشَّاعِرُ اِسْتعارةً كامِلَةً؛ لِيُعبِّرَ عَنْ كُلِّ مَا يجيشُ بخاطِرِه، حيثُ لَم يَجِدْ إِلَّا القُرآنَ الكريمَ مَنْبعًا صافيًا قادرًا على استيعابِ أفكارِهِ وَمَعَانيه، فوظَّفه بلفظِهِ ومعناهُ.

وأيضًا قولُ **عرقلة الكلبي**؛ وهو يلهجُ بالدُّعاءِ لله بأنْ يَجعلَ صلاحَ الدِّينِ على رأسِ دولةِ مِصرَ؛ لِحَاجَتِهَا إليهِ:[بحر السريع] [٣]

رَبِّ كَمَا مَلَّكْتَهَا يُوسُفَ الصِّ دِّيقَ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبِ
يَمْلِكُهَا فِي عَصْرِنَا يُوسُفُ الصَّ ادِقُ مِنْ أَوْلَادِ أَيُّوبِ
مَنْ لَمْ يَزَلْ ضَرَّابَ هَامِ الْعِدَا حَقًّا وَضَرَّابَ الْعَرَاقِيبِ

(١) عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن المفرج بن بكار(ت٦١٩هـ)، رشيد الدين النابلسي الشاعر المجيد؛ مدح الناصر وأولاده وأولاد العادل، وهو عم الحافظ شرف الدين يوسف بن الحسن النابلسي. انظر: فوات الوفيات، لمحمدبن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولي، (ص٢٣٥).

(٢) انظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٣٩٣/٤).

(٣) ديوانه (ص١٠٥)، وينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٢٥٢/١٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة (١١/٢)، وحسن المحاضرة، للسيوطي، (٣/٢).

أمَّا الشَّاعِرُ **عمارة اليمني**[1]، فقد صرَّحَ بذلك فقال:[2] [بحر الخفيف]

يَـا شَـبِيْهَ اَلصِّـدِّيْقِ عَـدْلًا وَحُسْـنًا وَسَـمِيًّا حَكَـاهُ مَعْنًـى وَمَغْنَـى
هَـذِهِ مِصْـرُ يُوسُـفَ حَـلَّ فِيهَـا يُوْسُـفٌ مَالِكًـا وَمَـا حَـلَّ سِـجْنَا

وهكذا نستطيعُ القولَ أنَّ شاعرَ الحرُوبِ الصَّليبيَّةِ قد رَبَطَ بعُمْـقٍ بـين شخصيَّةِ سيدنا يُوسفَ عليه السلام

وصلاح الدين، وكان يستمدُّ هذا الرَّبطَ بالتناص مع آياتٍ مِـنْ القُـرآنِ الكريمِ؛ كما سَبَقَ. ومِنْ أَشْكَالِ اَلتَّنَـاصِّ أَيْضًـا **قـولُ ابـنِ القَيْسَـرَانِي**[3]

---

(١) عمارة بن علي بن زيدان الحكمي (ت٥٦٩ه)، مُؤَرِّخٌ ثقةٌ وشاعرٌ، فقيهٌ أديبٌ، من أهل اليمن، ولد في تهامة، ورحل إلى زبيد، لم يزل مواليًا لهم حتى زالت دولتهم، وملك السلطان صلاح الدين فرثاهم عمارةُ، واتَّفق مع سبعة من أعيان المصريين علي الفتكِ بصلاح الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة؛ وعمارة في جملتهم له تصانيف، منها أخبار اليمن وقد طبع، وأخبار الوزراء المصريين، وديوان شعر. انظر:سير الأعلام (١١٧/٤٠)، والأعلام (٣٧/٥).

(٢) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (١٧٤/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (٧٩/٢).

(٣) ابن القيسراني (٥٤٨/٤٧٨ه): محمد بن نصر بن صغير بن داغر المخزومي الخالدي أبو عبدالله شرف الدين بن القيسراني، شاعرٌ مُجيدٌ، له ديوانُ شعرٍ مخطوطٍ صغيرٍ، أصلُهُ من حَلَبَ، ومولده بعكا، ووفاته بدمشق، وقد تولَّى في دمشق إدارة الساعات علي باب الجامع الأموي، ثم تولَّى في حلب خزانه الكتب، والقيسراني نسبة إلى قيسارية في ساحل سورية. قال عنه الذهبي في سيره : سيد الشعراء، أبو عبدالله، محمد بن نصر بن صغير بن خالد القيسراني ولد بعكَّا ونشأ بقيسارية، وسكن دمشق وامتدح الملوك .. وقرأ الأدب، وأتقن علم الهيئة والهندسة قال عنه السمعاني : هو أشعر من رأيته بالشام، ولد سنة ثمان وسبعين وأربع مئة، وتوفي سنة ثمان وأربعين، وخمس مئة، ويعتبر القيسراني من أشهر شعراء العهد الزنكي، وقد خلَّد انتصارات عماد الدين في بلاد الشام، وشهد بأم عينيه البطولة الإسلامية وهي تحقق الانتصارات الرائعة على الصليبيين، وقد قال هذا الشاعر قصيدة مدح فيها عماد الدين زنكي، وخلَّد انتصاره على الفرنجة في معركة بارين أمنع حصونهم، سنة ٥٣٤ه . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٢٦/٢٠)، والأدب العربي من الإنحدار إلى الإزدهار، لجودت الركابي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، (ص٢٥)، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢/ ٤٤٢)، والأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت،٢٠٠٢م، (٢٩٨/٢).

مُهنئًا عماد الدين زنكي بتحريره إمارةِ الرَّهَا:

[بحر المتقارب التام] (١)

وَجَاهِـــدْ فِـــي اللهِ حَـــقَّ الْجِهَـــادِ	مُحْتَسِـــبٌ بِـــالعُلا قَافِـــلُ
أَمَـــا أَنْ يُزْهَـــقَ البَاطِـــلُ	وَأَنْ يُنْجِـــزَ العِـــدَّةَ الْمَاطِـــلُ
إِلى كَـــمْ يَغِـــبْ مُلُـــوكَ الضَّـــلالِ	وَسَـــيْفٌ بِاعْتَاقِهَـــا كَافِـــلُ
وجَاهَـــدَ في اللهِ حَـــقَّ الجِهَـــادِ	وَمُحتسِـــبٌ بِـــالعَلِي قَافِـــلُ

فالأبياتُ الشِّعريَّةُ السَّابقَةُ أُشْبِعَتْ بآياتِ القُرآنِ الكـريمِ، فالبيـتُ الأَوَّلُ يتناص فيه الشاعر مع قوله تعالى:﴿**وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِـلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾(٢)، فالآيةُ الكريمةُ نزلَتْ مُوجَّهةً حديثَهَا للرسول ﷺ قائلةً له: يـا مُحمَّدُ أنتَ جِئْتَ مُنْذِرًا قومَكَ – خاصَّةً – والنَّاسَ – عامَّةً - فقد جاءَ الحـقُّ بنوره لإقامةِ العَدْلِ بينَ النَّاسِ، وذَهَبَ البَاطِلُ بظلامِهِ، وبِمَا أَشَاعَهُ فى الأرضِ مِنْ مَظَالِمَ ومَفَاسِدَ، والحقُّ دائمًا يعلُو ولا يُعلَى عليه، والبَاطلُ دائمًا نِهايتُهُ إلى الزَّوالِ والبَوَارِ والانْهيارِ، مَهْمَا طالَ لَيْلُهُ، فَوَجَّهَ توظيفَ الآيةِ الكريمـةِ فـي النَّصِّ الشِّعريِّ أنَّ الرَّسولَ ﷺ جاءَ بِرِسَالَةٍ لإقامَةِ العَدْلِ ونَشرِهِ، فكَذَا كُلُّ مَـنْ يسيرُ علَي خُطَاهُ في هَذَا الْمَنْحى، فهُوَ مُتلبِّسٌ بِحالَةِ الرَّسُولِ ﷺ في تلكَ الجِهَةِ،

---

(١) ديوانه (ص٢١٩)، وينظر: خريدة القصر، لعماد الدين الأصفهاني،(شعراء الشام، ومصر، والمغرب والأندلس)، لعماد الدين الأصفهاني، تحقيق: شكري فيصل(الشام)،أحمد أمين، إحسان عباس، شوقي ضيف (مصر)، محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي (المغرب والأندلس)، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٥– ١٩٦٨م (الشام)، دار الكتب المصرية ٢٠٠٥م مصورة عن نشرة ١٩٥١م (مصر) ، الدار التونسية للنشر – ١٩٨٦م (المغرب والأندلس)، (٣٢٨/١)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبدالجليل المهدي، (ص٤٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية:٨١.

فالشَّاعرُ رأى أنَّ نور الدِّينِ باستعادته لإمَارَةِ الرَّهَا أعلى رايةَ الحقِّ، وجعلَهَا خَافِقَةً، فهو سائرًا على خُطَاهُ ﷺ، فوجَّهَ لَهُ نَفْسَ اَلْمَغْزَى اَلْمَقْصُودِ في الآيةِ، وهُوَ سِرٌّ دعم الحقُّ وأعلى رايَتَهُ، ونكَّسَ عَلَمَ البَاطِلِ وأَزْهَقَه، فتلك هي سُنَّةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى في الكونِ، والشَّاعرُ في هذا التناص الآيةِ جعلَ البيتَ الواحِدَ يحملُ القارئ بعيدًا، وتجعله يُحلِّقُ ويُرفْرِفُ مع النَّصِّ الشِّعريِّ اَلْممزوجِ مَع القُرآنِ الكريمِ، ويَتَسائَلُ لِمَاذَا كان التناص مع تلك الآيةِ الكريمةِ دونَ ما عَدَاهَا ؟؟ ثُمَّ إذا انتقلنا إلي البيتِ الثَّالثِ وَجَدْنَا تناصا لقوله تعالى:**﴿وَجَاهَدُوا فِي اَللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾**[1]، فالأبياتُ الشِّعريَّةُ ضمن الشَّاعرُ فيها القُرآنَ الكريمَ تضمينا مُكثَّفًا؛ لتحقيق غايَةٍ في كُلِّ تناص، ففي البِدَايَةِ ضمن سَيْرَ نُورِ الدِّينِ لإقَامَةِ الحقِّ وَإزهاق البَاطِلِ، فأعطاهُ حقَّهُ مِنْ تهئنته، ومُشاركته في فرحةِ الانتصارِ، ثُمَّ وجَّهَ له الكلامَ مُتناصا مع قوله تعالى:**﴿وَجَاهَدُوا فِي اَللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾**[2]؛أي: ليس هذا الانتصارُ هو نِهايةُ الانتصَارَاتِ، بَلْ أَنْتَ مَا زِلْتَ مُطالبًا بأنْ تُجاهِدَ وأن تنتصرَ؛ لتستردَّ جميعَ أراضي اَلْمُسلمين، وهَذَا هُوَ اَلْجِهَاد في اللهِ حقَّ جِهَادِهِ، فتوظيفُ الآياتِ حَملتَ في كُلِّ توظيفٍ معنىً مُتجدِّدًا، وكأنَّ التَّناص هنا يُبرزُ في كُلِّ مرَّةً مُرتديًا أجملَ ثِيَابِهِ؛ يُضفِي على الأبياتِ معانيَ بعيدةَ الغَوْرِ.

وَنَجِدُ اَلتَّنَاصَّ هُنَا مَعَ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ لَفْظًا وَمَعْنًى في مثل قول **ابن سناء الملك** في القصيدة التي كتبها يُهنىءُ فيها صلاح الدين بفتح حلب، حيثُ قال فيها:[3] [بحر البسيط]

---

(١) سورة الحج، الآية:٧٨.

(٢) سورة الحج، الآية:٧٨.

(٣) ديوان ابن سناء الملك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وحسين محمد نصار، (ص١٩٨)، اينظر: وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (١٦٣/٣).

بِدَوْلَــةِ التُّــرْكِ عَــزَّتْ مِلَّــةُ الْعَــرَبِ وَبِــابْنِ أَيُّــوبَ ذَلَّــتْ شِــيعَةُ الصُّــلبِ
وَفِــي زَمَــانِ ابْــنِ أَيُّــوبٍ غَــدَتْ حَلَــبٌ مِــنْ أَرْضِ مِصْــرَ وَعَــادَتْ مِصْــرُ مِــنْ حلــبِ
وَلابْــنِ أَيُّــوبٍ دَانَــتْ كُــلُّ مملكــةٍ بِالصَّـفْحِ والصُّـلحِ أَو بِــالْحَرْبِ والحَــرَبِ

ثُمَّ يتوجَّهُ إلى مدحِ صلاحِ الدِّينِ فيقولُ:

تَبْــدُو الْفَــوَارِسُ مِنْــهُ فِــي سَــوَابِغِهَا بَــيْنَ النَّقِيْضَــيْنِ مِــنْ مَــاءٍ وَمِــنْ لَهَــبِ
جِمَــالُهُمْ مِــنْ مَغَــازِيْهِمْ إِذَا قَفَلُــوا حَمَّالَــةُ السَّــبْيِ لا حمَّالَــةُ الحَطَــبِ

فابنُ سناءِ الْملك ابتدَأَ القصيدةَ بمدحِ دولةِ التُّركِ، وأنَّ عزَّ الإسلام كــانَ بِها – وهُوَ مِلَّةُ العرَبِ – وكَذَا مَجيءُ دولَةِ بني أيوبِ ذَلَّتْ أَتْبَاعَ الصُّلْبَانِ، ثُمَّ انتقلَ إلى مدحِ صَلاحِ الدين –بعد مدح دولته – وتهنئته بالفتحِ، ثُــمَّ وَصَــفَ الفَوَارِسَ في الْمَعْرَكةِ بِأَنَّهُمْ مِنْ اتِّسَاعِهِمْ يظهرُون كَأَنَّهُمْ مُتناقضون مَــا بــين الْمَاءِ واللَّهَبِ، وأنَّ مَصْدَرَ جَمالَهم أَنَّهم في رُجُوعِهِم يَحملُون معهم الأسْــرى والسَّبي، والشَّاعِرُ هُنَا عندما استخدمَ لَفْظَ (حَمَّالَةَ، كأَنَّهُ تُبَادِرُ إليه قوله تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1].

فأراد أنْ يُبيِّنَ مُرَادَهُ فقالَ إنَّهم برُجوعِهِم حملوا السَّبي الذي هُــوَ دَلالَــةُ النَّصرِ، ولَمْ يكونوا حمَّالين للحَطَبِ الذي هُوَ عَلَامَةُ الْخُسْرَانِ، فحمَّالَةُ الحَطَبِ في القُرْآنِ الكريمِ دَلالَةٌ عَلَى الضَّلالِ والْخُسْرانِ والْخُلُودِ في النَّــارِ، فَالكَلِمَــةُ حَمَلَتْ مَعَهَا إِيْحَاءَاتٍ كثيرةً مَؤدَّاها الْخُسْرَانِ، فأرادَ الشَّــاعرُ أنْ ينفــيَ عَــنْ الفَوَارِسِ تلك الصِّفَةِ، ويستغلَّ الدَّلالَةَ العكسيَّةَ الْمُتناقِضَةَ، في قولــه (حمالــة) فأتبعهَا بقوله (السَّبي) ثُمَّ نَفَى عنهم أن يكونوا مِثْــلَ (حَمَّالَــةَ الحَطَــبِ) فــي الْخُسْرانِ، بَلْ هُمْ عَلَى نَقِيضِهَا، فخَلَقَ هَذَا التَّناقُضُ بين حَالَ الفَوارِسِ وحَــالِ حَمَّالَةِ الحطَبِ بيانَ مَدَى الْهُوَّةِ الْمُتَّسِعَةِ بينَ الحالين،كَمَا أَنَّ صِــيْغَةَ الْمُبَالَغَــةِ

(١) سورة المسد، الآيتان:٤– ٥.

(فَعَّالَة) في الآيةِ الكريمةِ دلَّتْ علَى كَثْرةِ أفْعَالِهَا السَّيِّئةِ، وحَمْلَهَا اَلْمُتكرِّرِ لِلأَذَى، واَلْحَطَبُ كِنَايةٌ عن موصوفٍ، وهُوَ اَلأَذَى، واَلْفِتَنُ، والتنقُّصُ، وَالازْدِرَاءُ، وكلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُحتَطبَ، فَكَذَا دَلالَةُ قوله (حَمَّالَةُ السَّبي) دلَّتْ على كثرةِ حُرُوبِهم، وأنَّهُمْ دائمًا في الجانِبِ الغَالِبِ؛ لِذَا بَالَغَ بِوَصْفِهِمْ (حَمَّالة السَّبي)، فهَذَا من بَابِ توظيفِ الآيَةِ الكَريمةِ؛ لدلالتها العكسيَّةِ والضِّدِّيَّةِ.

قال **العماد الأصفهاني** يمدح نور الدين زنكي: [1][بحر الرجز التام]

إِنَّ اَلْـــوَرَى بَحُبِّـــهِ وَبُغْضِـــهِ ... يُعْـــرِفُ مِـــنْ شَـــقِيِّها سَـــعِيْدُهَا
قَـــدْ جَـــاءَكُمْ نُـــوْرٌ مِـــنْ اللهِ فَمَـــنْ ... بِـــهِ اِهْتَـــدَى فَإِنَّـــهُ رَشِـــيْدُهَا
جَلَـا ظَلَـامَ اَلظُّلْـمِ نُـوْرُ الـدِّيْنِ عَـنْ ... أَرْضِ اَلشَّـــآمِ فَلَـــهُ تَحْمِيْـــدُهَا

فَالشَّاعِرُ هُنَا يَتَنَاصّ شِعْرُهُ مَعَ القرآن الكريم لفظا ومعني في قوله:**﴿قَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ مِنْ اَللهِ﴾**[2]، فأدخل نوعًا من أنواعِ التَّلاحُمِ، وتَدَاخُلِ اَلْمَعَاني بصُورَةٍ مُبتكرَةٍ، فكان القارئ يدورُ في خَلَدِهِ سُؤالٌ: مَا مقصودُ الشَّاعِرِ بقوله (نُورٌ مِنْ الله)؟ هل هو تناص للآيَةِ الكريمةِ؟ ويقصدُ به اَلْمَنْهَجَ الشَّرعيَّ، أَمْ أَنْ اَلْمقصُودَ أَنَّهُ بِمجيءِ نُوْرِ الدِّينِ جَاءَ نورٌ مِنْ عِنْدِ الله ؟ فمَنْ اهتدى بِهِ فقد رَشَدَ؛ لأَنَّهُ مُتَّبِعٌ لِنُوْرٍ مِنْ الله، فالآيةُ الكريمةُ تناص مُتشابِكٌ مَعَ الآيَةِ الكريمَةِ في الدَّلالَةِ واَلْمَعْنى، وهُوَ تناص يلجأُ إليه الشَّاعرُ أحيانًا لِيُحَمِّلَ بيتَهُ الشِّعريَّ مَعْنى مبتكرًا أو معنى ذا جِدَّةٍ وطَرَافَةٍ، وَيَجعلُ القَارئ أيضًا يتمعَّنُ جيِّدًا لِيتبيَّنَ مُرَادَهُ، ويخلقُ جوًّا من التَّرابُطِ النَّفْسي بين القَصِيدَةِ واَلْمَاضِي، فَيُضْفِي عَلَى القَصيدَةِ مِسْحَةً تُراثيَّةً، تجمعُ بينَ ظِلالِ اَلْمَاضِي واَلْحَاضِرِ.

---

(١) ديوانه (ص١٠٦)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (٢٧/٢)، ونور الدين زنكي، لمحمود فايز السرطاوي، دار البشير للنشر، عمان، الأردن، ١٩٩٠م، (ص١٧٧).
(٢) سورة المائدة، الآية:١٥.

ويقولُ **ابن منير الطربلسي**[١] مُهنئًا نورَ الدِّين بفتحِ حصن (أنطرسوس):[٢]

[بحر الكامل]

أَبِـــذَا تُبَاشِـــرُ وَجْـــهَ غَـــزْوِكَ ضَـــاحِكًا وَتَـــؤُوْبَ مِنْـــهُ مُؤَيَّـــداً مَنْصُـــوْرَا

غَـــادَرْتَ أَنْطَرْسُـــوْسَ كَـــالطَّرْسِ امَّحَـــى رَسْـــمًا وَحُمْـــرُ دَرْعِهَـــا يَحْمُـــوْرَا

أَلِـــقِ الْعَصَـــا فِـــيمَنْ أَطَـــاعَ وَمَـــنْ عَصَـــى مِـــنْهُم وَدَمِّـــرْ أَرْضَـــهُمْ تَـــدْمِيْرَا

لَـــا يُلْهِهِـــمْ أَنْ قَـــدْ مَنَنْـــتَ وَشَـــنَّهَا شَـــعْوَاءَ تُصْـــلِي الْكَـــافِرِيْنَ سَـــعِيْرَا

فالشَّاعرُ هُنَا يتناص في نصه مع قوله تعالى:﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾[٣]،وكذا قوله تعالى:﴿**فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[٤]،وكذا قوله تعالى:﴿**وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا**﴾[٥]،وكذا قوله تعالى: ﴿**وَيَصْلَى سَعِيْرًا**﴾[٦]. فالأبيـاتُ تضافَرَتْ مَعَ الآياتِ الكريمةِ في كُلِّ بيتٍ مِنْهَا، فنورُ الدِّين يملكُ عصًا يُوجِّهها إلى الصَّليبيين، وهي بِمثابَةِ عصَا سيدنا موسى عليه السلام السِّحريةِ – وذلك في دَلالَةٍ غيرِ مُباشرةٍ على كثرةِ انتصاراته – وهو في ذلك يملكُ تدميرَ أولئك الصَّليبيين، وهو في أثناءِ حربِهِ يشنُّ حربًا تُصْلِيْهُمْ وتُذِيْقُهم عذابًا وسَعيرًا،

---

(١) ابن منير الطرابلسي (٥٤٨/٤٧٣هـ): أحمد بن منير بن أحمد أبو الحسين مهذب الدين ،شاعرٌ مشهورٌ، من أهل طربلس الشام، ولد بها وسكن دمشق، ومدح السلطان العادل محمود زنكيك بأبلغ قصائده، وكان هجاءً مُرًّا، حبسه صاحب دمشق علي الهجاء؛ وهمَّ بقطعِ لِسانِهِ، رحل إلى حلب وتوفي بها. انظر: معجم الأدباء، للحموي (ص١٥٣).

(٢) انظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (٢٨١/١)، وأدب الحروب الصليبية، لعبد اللطيف حمزة، المطبعة الأميرية، القاهرة، (ص٧٩).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١١٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٥) سورة الفتح، الآية: ١٣.

(٦) سورة الانشقاق، الآية: ١٢.

فكَانَ نُوْرُ الدِّينِ يُسْرِعُ بِهم إلى آخِرَتِهم التي فيها عَذَابُهم وسعيرُهُمْ، فجعلَهُ الشَّاعِرُ كأنَّهُ هو مُعَذِّبُهم بِها على سبيلِ اَلْمُبالَغَةِ، ولاشَكَّ أنَّ الآيَاتِ الكريمةَ مَكَّنَتْ الشَّاعِرَ مِنْ إِيْصالِ تلك اَلْمَعَاني اَلْمُبَالَغِ فيها، والاضطرابُ الضَّاربُ في أَعْمَاقِ قَلْبِهِ مِنْ شِدَّةِ فرحه بانتصار نور الدين، فكانتْ الأبياتُ الشِّعريَّةُ والآياتُ القرآنيَّةُ قد مَثَّلَتْهُ خَيْرَ تمثيلٍ.

ومنه قولُ **العماد الأصفهاني** في مدح صلاح الدين: [1][بحر المتقارب التام]

مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ فَمَا لِلْبِلَادِ	**سِوَاكَ مُجِيْرٌ وَمَوْلَى نَصِيْرُ**
وَيَوْمَ اَلْفِرِنْجِ إِذَا مَا لَقُوْكَ	**عُبُوْسٌ بِرَغْمِهِمْ قَمْطَرِيْرُ**
نُهُوْضًا إِلَى اَلْقُدْسِ يَشْفِي اَلْغَلِيْلَ	**بِفَتْحِ اَلْفُتُوحِ وَمَاذَا عَسِيْرُ**
سَلِ اللهَ تَسْهِيْلَ صَعْبِ اَلْخُطُوْبِ	**فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرُ**

فالبيتُ الثَّاني تضمين لقولِهِ تعالى:﴿**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوْسًا قَمْطَرِيْرًا**﴾[2]، والبيتُ الأخيرُ من قوله تعالى:﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ**﴾[3]، وقد كَثُرَ قولُه تعالى، (وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ) في تذييلِ بعض الآياتِ في القُرْآنِ الكريمِ.

والشَّاعِرُ هُنَا يُرِيدُ أنْ يُصَوِّرَ لَنَا شِدَّةَ اليومِ على الصَّليبيين، وأنَّ صلاح الدِّين يُذِيقُهم من أنواعِ اَلْهَوَانِ والشِّدَّةِ والغِلْظَةِ مَا يُشْبِهُ أهوالَ القِيَامَةِ، فَاسْتَعَانَ بِالآيةِ الكريمَةِ؛ لِيُصوِّرَ لَنَا صُعُوبَةَ هَذَا اليومِ وظُلْمَتَهُ، ثُمَّ خَتَمَ حديثَهُ بِالدَّعوةِ

(١) ديوانه (ص١٦٢)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٣٧٣/٢)، والعماد الأصفهاني، حياته، فكره، أدبه، لزينب ناصر، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٢م، (ص٨٥).

(٢) سورة الإنسان، الآية: ١٣.

(٣) سورة الملك، الآية: ١.

إلى الدُّعَاءِ؛ لأنَّ الله تعالى على كُلِّ شيءٍ قدير، ولاشَكَّ أَنَّ أيَّ مُسْلِمٍ يَحمِلُ ولو قَدْرًا ضئيلًا؛ مِنْ الثَّقَافَةِ الإِسْلَامِية عَادَةً يُوظِّفُ عبارةَ (إنَّ الله تَعَالَى عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ) فهي عبارةٌ ذاتُ صِبْغَةٍ إسلاميَّةٍ خَاصَّةٍ، وصوَّرَه لنا الشَّاعِرُ لِيُبَيِّنَ لَنَا أَنَّهُ مَعَ قُوَّةِ صلاحِ الدِّينِ وعزمه وصلابة جيشه، إلا أنَّ الله هو القادِرُ بِمشيئَتِهِ أَنْ يُؤيِّدَهُ بِنَصْرِهِ أَو لَا يُؤَيِّدُهُ. فهو تذييلٌ للأبياتِ الشعرية يصور لنا معني إسلامي، وهو أنَّ الله تعالى يُؤيِّد بنصره مَنْ يبذل الأسباب، ويسعي لتحقيقها، فهي سنة الله تعالى في كونه، وهي ثقافةٌ إسلاميَّةٌ أراد الشاعر نشرها بين المجاهدين، وقد ساعدته الآيات الكريمة في بيان ذلك .

ويقولُ **فتيان الشاغوري** مُهنئًا صلاح الدين بفتح القدس: [الكامل] (١)

رَبُّ الْمَلَاحِمِ لَمْ يُؤَرِّخْ مِثْلَهَا اَلْ ... عُلَمَاءُ قِدْمًا فِي قَدِيمِ الْأَعْصُرِ

خَلَعَتْ عَلَيْهِ خَلَعَةَ الْمُلْكِ الَّتِي ... زِيْدَتْ بَهَاءٌ بِالطِّرَازِ الْأَخْضَرِ

وَاسْتَنْقَذَ الْبَيْتَ الْمُطَهَّرَ عَنْوَةً ... مِنْ كُلِّ ذِي نَجَسٍ بِكُلِّ مُطَهَّرِ

وَأَرَيْتَهُمْ لَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ ... بِالْبَيْتِ الْمُقَدّسَ هَوْلَ يَوْمِ الْمَحْشَرِ

وَرَدَدْتَ دِيْنَ اللهِ بَعْدَ قُطُوْبِهِ ... بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِوَجْهٍ مُسْفِرِ

وَأَعَدْتَ مَا أَبْدَاهُ قَبْلَكَ فَاتِحًا ... عَمْرو فَأَنْتَ شَرِيكُهُ فِي الْمَتْجَرِ

حَتَّى جَمَعْتَ لِمَعْشَرِ الْإِسْلَامِ ... بَيْنَ الصَّخْرَةِ الْعُظْمَى وَبَيْنَ الْمِشْعَرِ

فالبيتُ الثَّاني قد جعلَ إخراجَ صلاحِ الدِّين للصَّليبيين بِمَثَابَةِ عَمَلِيَّةِ تطهيرٍ للمسجد الأقْصَى، مُتناصا بذلك مع قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾(٢)، ثُمَّ البيتُ الذي يليه مع قوله

(١) ديوانه (ص٤٦٠)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤٠٨/٣).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

تعالى:﴿إِنَّ الَّذِيْنَ تَوَلَّوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[1]، واختارَ الشَّاعرُ التَّعبيرَ بقوله (يوم التقي الجمعَان)؛ لأنَّ الآيةَ الكريمةَ حَمَلَتْ مَعَهَا معنى التَّولِّي والتَّخلِّي، فبالتالي عندما يتناص مع قوله (يوم التقي الجمعان) يتوقَّعُ الذِّهنُ أَنَّ القارئ يتساءل: هل تولُّوا مثل تولي القوم السابقين المذكورين في القرآن؟ وَمِمَّا لاشَكَّ فيه أنَّ تعلق المتلقي بالبيت هو جزء من الحكم على البيت الشعري بالاستحسان. ومن ذلك **قول ابن عنين** في تهئنة الملوك الأيوبية:[2][بحر البسيط]

أَلْقِ الْعَصَا تَتَلَقَّفْ كُلَّ مَا أَفِكُوا ... وَلَا تَخَفْ مَا حِبَالُ الْقَوْمِ حَيَّاتُ

طَأْهُمْ بِجَيْشِكَ لَا تَحْفَلْ بِكَثْرَتِهِمْ ... فَإِنَّهُمْ لِبُغَاتِ الطَّيْرِ أَقْوَاتُ

فهي من قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[3]، وأيضًا قوله تعالى:﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾[4]، قولنا (ألق عصاك) أصبحت مع مرور الزمن دلالَةَ التَّوكُّلِ على الله، فالعَقْلُ قبل تلك الآيةِ كان لا يُدركُ معنى إلقاء العصى؛ وأنَّها نُصْرَةٌ من عند الله سبحانه وتعالى، لذا فإنَّ الخوفَ لابُدَّ أن يحصل، ولكن مع نزول الآية الكريمة اكتسب قولنا (ألق عصاك) دلالاتٍ أُخْرَى، فأصبحتْ بعد ذلك تدلُّ على التَّوكُّلِ والنُّصْرَةِ؛ لذا فابن عنين يقول: يا مُلوكَ الدولة الأيوبية ألقوا بجيوشكم ولاتخافوا؛ فإنَّ النصر قادمٌ من عند الله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

(٢) ديوان ابن عنين (ص٢٠٥)، وينظر: النجوم الزاهرة، لابن تغري (٢٤٣/٦).

(٣) سورة الأعراف، الآية:١١٧.

(٤) سورة القصص، الآية:٣١.

وقال **طلائع بن رزيك**[١] في الصُّلح بين نور الدين وقليج أرسلان: [٢]

[بحر الطويل]

تَعَالُوا لَعَلَّ اللهَ يَنْصرُ دِيْنَهُ إِذَا مَا نَصرْنَا الدِّيْنَ نَحْنُ وَأَنْتُمُ

وَنَنْهَضُ نَحْوَ الْكَافِرِينَ بِعَزْمَةٍ بِأَمْثَالِهَا تُحْوَى الْبِلَادُ وَتُقْسَمُ

فالشاعر يتناص مع قولِهِ تَعَالَى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصرُوا اللَّهَ يَنصرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[٣]، فالآيةُ الكريمةُ تَحملُ حَلًّا عَمَليًّا لِكُلِّ مَنْ يُريدُ النُّصرةَ في كُلِّ مَجالاتِ الحياةِ، أنْ ينصر الله تعالى أَوَّلًا في تأديةِ فرُوْضِهِ، ثُمَّ اللهُ تعالى يتولَّى نُصرَتَهُ، فالشَّاعِرُ ضمن الآيةَ الكريمةَ لِيُعطِي حَلًّا عمليًّا للشُّعُوبِ الْمُحتلَّةِ مِنْ قِبَلِ الصَّليبيين، ويَضَعَهُ أيضًا أمام نورِ الدين وأرسلان؛ لِيَتَّحدُوا ويُطبِّقُوا قوله تعالى:﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا**﴾[٤]، ثُمَّ يقومون بِنُصرةِ دينِ اللهِ؛ لعلَّ اللهَ يَنْصرُهُمْ ويقموا بدحر الصَّليبين، وإنهاء احتلالهم،

---

(١) طلائع بن زريك (٤٩٥ هـ ٥٥٦ هـ): الشاعر طلائع بن رزيك الشاعر أبو الغارات، طلائع بن رزيك بن الصالح الإرمني، الملقّب بالملك الصالح. قال ابن خلكان في وفيات الأعيان:"كان فاضلاً، سمحاً في العطاء، سهلاً في اللقاء، محبّاً لأهل الفضائل، جيّد الشعر". وقال عماد الدين الكاتب في الخريدة :"تفق في زمانه النظم والنثر، واسترق باحسانه الحمد والشكر، وقرّب الفضلاء واتخذهم لنفسه جلساء، ورحل إليه ذوو الرجاء، وأفاض على الداني والقاصي بالعطاء، وله قصائد كثيرة مستحسنة، وله ديوان كبير واحسان كثير". وقال يوسف بن تغري بردي في النجوم الزاهرة:"وساس الأُمور، ولقّب بالملك الصالح، وسار في الناس أحسن سيرة، وكان أديباً كاتباً مائلاً لمذهب الإمامية، وقد تسلّم الأمر من بعده ولده فسار على سيرته".وقال المقريزي في الخطط:"كان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً، محبّاً لأهل الأدب، جيّد الشعر، رجل وقته فضلاً وعلماً وسياسةً وعقلاً وتدبيراً، وكان مهاباً في شكله، عظيماً في سطوته، وجمع أموالاً عظيمة، وكان محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها".انظر: وفيات الأعيان،لابن خلكان (٥٢٦/٢)،واتعاظ الحنفاء، للمقريزي (٢٤٨/٣)، وخريدة القصر، للعماد الأصفهاني (٢٦٢/٢)، ونور الدين زنكي في الأدب العربي، لمحمود فايز (ص٢٦٩).

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٣٢١/٩).

(٣) سورة محمد، الآية:٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية:١٠٣.

فتضمين الآيةِ الكريمةِ في النَّصِّ الشِّعري أفادت تلك المعاني، يقول **ابن القيسراني**:(١) [بحر الطويل]

لَكَ اللهُ ؛ إنْ حَارَبْتَ فَالنَّصْرُ وَالْفَتْحُ ... وَإنْ شِئْتَ صُلْحًا عُدَّ مِنْ حَزْمِكَ الصُّلْحُ

إذَا مَا دِمَشْقُ مَلَّكَتْكَ عَنَانَهَا ... تَيَقَّنْ مَنْ فِي إيلِيَّا أَنَّهُ الذَّبْحُ

إذَا سَارَ نُورُ الدِّيْنِ فِي الْجَيْشِ غَازِيًا ... فَقُوْلَا لِلَيْلِ الْإِفْكِ قَدْ طَلَعَ الصُّبْحُ

فالقيسراني تناص في الشطر الاول قوله تعالى:﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ**﴾(٢)، ثم جعل الشطر الثاني مُستلهمًا من معنى مُتوارث، وهو الصُّلحُ عن قُوَّةٍ وعن حزمٍ، ثُمَّ عاد وبيَّن أنَّ نور الدين إذا خرج بالجيش غازيًا فإنَّ أيَّ إفكٍ وأيَّ بُهتانٍ آخر سيزولُ وسينتهي، فَكَمَا ظهرتْ براءَةُ السَّيدةِ الطَّاهرةِ عائشةَ – عليها السَّلامُ – مِنْ حادثَةِ الإفْكِ، وبرَّأَهَا اللهُ مِنْ فوق سَبْعِ سَموات، فانتهى الإفكُ، وزالَ للأبدِ، فَالْمُؤيِّد والكاشِفُ هو الله، فهكذا حالةُ تَلَبُّسِ نور الدين وخروجه بالجيشِ غازيًا، فالله مُؤيِّدُهُ، ويُظهرُ نَصْرُهُ كظُهُورِ أُفْقِ الصَّبَاحِ.

وقال **عمارة اليمني** في مرثيَّةٍ له في والد صلاح الدين:(٣)[بحر الكامل]

---

(١) ديوانه (ص٦١)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٨٠/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٢٤٢/١)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي، (ص٨٦).

(٢) سورة النصر، الآية:١.

(٣) انظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٢٥٩/٢-٢٦٠)،والروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٢٤٩/٢)، والوافي الوفيات، للصفدي (٣٢/١٠)، والدولة الزنكية، للصلابي (٣٦٤/٢)، وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (ص١٨٩)، وبيت المقدس ، لعبد الجليل المهدي (ص١١٦).

صَفْوُ الْحَيَاةِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى كَدَرُ وَحَادِثُ الْمَوْتِ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ
كَأَنَّمَا صَوَّرَ اللهُ الْكَمَالَ بِهِمْ شَخْصاً، وَيُوْسُفُ مِنْهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

ومنه قصيدة **العماد الأصفهاني** التي هنَّأَ فيها صلاح الدين بفتح القدس بدأها:[بحر الطويل] (١)

بِوَاقِعَةٍ رُجَّتْ بِهَا الأَرْضُ تَحْتَهُمْ دَمَارًا كَمَا بَسَّتْ جِبَالَهُمْ بَسَّا
بُطُونُ ذِئَابِ الأَرْضِ صَارَتْ قُبُورَهُمْ وَلَمْ تَرْضَ أَرْضٌ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ رُمْسَا
سَبَايَا بِلَادِ اللهِ مَمْلُوءَةٌ بِهَا وَقَدْ شُرِيَتْ بَخْسًا وَقَدْ عُرِضَتْ نَخْسًا

فالشَّاعرُ يتناص مع قوله تعالى:﴿**إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا. وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا**﴾(٢)، فالشَّاعِرُ من عِظَمِ يومِ الفتحِ ومِنْ شدَّة فرحه ونشوته، صوَّرَهُ بأهوالِ يومِ القِيَامَةِ، فصَلاحُ الدِّين أوفى بوعْدِهِ، وجعل عام (٥٨٣ هـ) عُرْسًا لِكُلِّ الْمُسلمين على مرِّ الْعُصُورِ، فَمَا بَالُنَا بِمَنْ عَاشَ نَشْوَةَ هَذا الانتصارِ، فهو ضمن الآيةَ الكريمةَ؛ لِيُصوِّرَ لِلْمُتلقِّي عِظَمَ هَذَا الحادِثِ في نَفْسِهِ، وقد أدَّتْ الآيةُ الكريمةُ دَوْرَهَا في النَّصِّ، فصوَّرَتْ الحدَثَ بِنَفْسِ الصُّورةِ التي أرادَهَا الشَّاعِرُ، وعَاشَهَا وَفَرِحَ بِهَا. ومنه أيضًا قوله:(٣) [بحر الطويل]

وَمَنْ يَدَّعِي فِي قَتْلِكَ الشِّرْكَ شِرْكَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْقَوَافِي لَهُ ذِكْرُ
هِيَ الْقَانِتَاتُ الْحَافِظَاتُ فُرُوْجَهَا فَشَاهِدُهَا عَدْلٌ وَرَائِقُهَا سِحْرُ

(١) ديوانه (ص٢٠٣)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي، لأبي شامة (٣٠٢/٣)، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢٦٣٠/٦)، والعماد الأصفهاني، حياته، فكره، أدبه، لزينب ناصر، (ص٥١).

(٢) سورة الواقعة، الآية:١٠.

(٣) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٨٣/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٥٠/١)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي (ص٢٥٠).

فذلك تناص لقوله تعالى:﴿فَٱلصَّٰٓلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾.(١)

ويقول **ابن القيسراني**: [بحر البسيط التام] (٢)

حَذَارِ مِنَّا وَأَنَّى يَنْفَعُ اَلْحَذَرُ وَهِيَ اَلصَّوَارِمُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ

فهو هنا ضمن الآية الكريمة ﴿**لاتُبقي ولاتذر**﴾(٣)، وذلك على سبيلِ اَلْمُبالَغَةِ.

ومنه أيضًا **قول القيسراني**: (٤)[بحر الوافر التام]

وَكَيْفَ لَا نُثْنِي عَلَى عَيْشِنَا الْمَحْمُودِ وَالسُّلْطَانُ مَحْمُودُ

وَإِنَّمَا الإِفْرِنْجُ مِنْ بِغْيِهَا عَادٌ وَقَدْ عَادَ لَهَا هُودُ

قَدْ حَصْحَصَ اَلْحَقُّ فَمَا جَاحِدٌ فِي قَلْبِهِ بَأْسُكَ مَجْحُودُ

فالقيسراني استعانَ في البيتِ الثاني بقَصَصِ القُرْآنِ الكريمِ، وهِيَ قِصَّةُ قومِ عَادٍ؛ لِيُبيِّنَ للمُتلقِّي أَنَّهُمْ سيَلقون نَفْسَ اَلْمصيرِ، ثُمَّ انتقل في البيت التالي إلى التناص مع الآية الكريمة:﴿**اَلْآنَ حَصْحَصَ اَلْحَقُّ**﴾(٥).ومنه قول **أسامة بن منقذ** في قصيدة يتحدَّثُ فيها عن أفعال نور الدين زنكي:(٦) [بحر الطويل]

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) ديوانه (ص١٢٩)،وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي،(٤٠/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي ، (١٣١/١)، والدولة الزنكية، للصلابي (ص١٧٣)،والأدب من الانحدار إلى الازدهار، لجودت الركابي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢٠٠١،٢م، (ص٢٥).

(٣) سورة المدثر، الآية:٢٨.

(٤) ديوانه (ص١٣٥)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٠٠/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٠٠/١)، والدولة الزنكية، للصلابي (٢٤١/٢).

(٥) سورة يوسف، الآية:٥١.

(٦) ديوانه (ص٤٣٣)، وينظر: بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي (ص٢٥٢).

وَنَحْـنُ أَسَـرْنَا الْجُوسَـلِين وَلَـمْ يَكُـنْ لِيَخْشَـى مِـنْ الأَيَّـامِ نائِبـةً تَعْـرُو
وَنَحْـنُ كَسَـرْنَا الْبَغْـدَوَيْنِ وَمَـا لِمَـنْ كَسَـرْنَاهُ إِبْلَـالٌ يُرجَّـى وَلَـا جَبْـرُ
فَسَـلْهُ اللَّعِـيْنَ الْخَـائِنَ الَّـذِي لَـهُ الْغَـدْرُ دِيْـنٌ مَـا بِـهِ صَـنَعَ الْغَـدْرُ
وَقَـدْ ضَـاقَتْ الـدُّنْيَا عَلَيْـهِ بِرَحْبِهَـا فَلَـمْ يُنْجِـهِ بَـرٌّ وَلَـمْ يَحْمِـهِ بَحْـرُ
وَنَرْتَجِـعَ الْقُـدْسَ الْمُطَهَّـرَ مِـنْهُمُ وَيُتْلَـى بِـإِذْنِ اللهِ فِـي الصَّخْرَةِ الـذِّكْرُ

فالبيتُ الثَّالثُ تضمين لقوله تعالى:﴿**حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ** ﴾[١]،والآيةُ الكريمةُ تُصوِّرُ بأصدق تعبيرٍ حالَ الثَّلاثَةِ الَّذين خُلِّفُوا فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فاستعان القيسراني بتعبير القرآن الكريم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ليُصوِّرَ مَدَى الضِّيق الذي أصابَ هَذَا الخائنُ، وهذا مِمَّا لاشَكَّ فيه بَرَاعةٌ في اختيار الآيةِ الْمُوظَّفَة منْ القُرْآنِ الكريم. يقول **نجم الدين بن مجاور**:[٢][بحر الكامل التام]

إنْ صَبَّحُوا الأَعْدَاءَ فِي أَوْطَانِهِمْ تَرَكُوا دِيَارَهُمْ كَقَاعٍ صَفْصَفِ

فهي من قوله تعالى:﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا**﴾[٣]،فالتناص مع الآيةِ الكريمةِ أَضْفَتْ على البيتِ الشِّعري هيبةً وخوفًا؛ يقعُ في نُفُوسِ الأعداءِ من تَخيُّلِ بيوتهم وديارهم، وقد تَحوَّلَتْ إلى قاعٍ صفصفٍ، فالشَّاعِرُ رأى في الآية الكريمة

ما يُعبِّرُ به عَمَّا يَجولُ في نَفْسهِ مِمَّا سوف يلحقُ بالأعداءِ.

---

(١) سورة التوبة، الآية:١١٨.

(٢) انظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣٦٨/٣)،وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (ص٥٦١)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي ، (ص٢٥١).

(٣) سورة طه، الآية: ١٠٥.

ومنه قول **الأسعد المماتي**[1]، وهو قبطيٌّ مُوظِّفًا للقرآن الكريم، حيثُ قال:[2] [بحر الوافر]

سَلْ اَلْبَيْتَ اَلْمُقَدَّسَ عَنْهُ يُخْ ... بِرْ بِسُوْرَةِ فَتْحِهِ لَمَّا تَلَاهَا

مَحَا اَلنَّاقُوْسَ وَالصُّلْبَانَ عَنْهُ ... وَأَثْبَتَ "هَلْ أَتَى" فِيْهِ "وَطَاهَا"

فَالْمَمَاتي اسْتَعَانَ بِأَسْمَاءِ السُّوَرِ اَلْقُرآنيَّةِ (سورة الفتح، سورة الإنسان)، وهذا يدلُّ على مدى تَغَلْغُلِ وعُمْقِ التَّناص في هَذَا العَصْرِ، ويدلُّ كذلك على مدى تَغَلْغُلِ الثَّقَافَةِ الإِسْلامِيَّةْ، في نفس الشاعر ، وكأنَّهُ رأى في توظيفِهِ للسُّوَرِ القُرآنيَّةِ حَصِيْلَةً ومادَّةً خِصْبَةً، ونَقِيَّةً وصَافِيَّةً، ومِنْ ثَمَّ فَقَدَ وَجَدَ في التناص مع القرآن الكريم أقوى مُعطياتِ التُّراثِ الدِّينى، التي يُمكنُ تحريكُهَا بِصُورةٍ مُعاصِرَةٍ، وإسقاطُ القَضَايا اَلْمُعَاصِرَةِ عليها، وفي هَذَا الإِطَارِ تَأكيدٌ على قُوَّةِ اَلْمَوْرُوْثِ الدِّيني في نَفْسِ اَلْمُتلقِّي. ومن التَّوظيفِ لَفْظًا وَمَعْنَى أيضًا قول **ابن منير الطربلسي**:[3] [بحر المتقارب]

تَصُبُّ عَصَاكَ عَلَى مَنْ عَصَا ... كَ يَوْمًا عَبُوْسًا قَمْطَرِيْرَا

---

(١) **الأسعد بن مماتي (٥٤٤ – ٦٠٦هـ): أسعد (أبو المكارم) بن مهذب (الملقب بالخطير أبي سعيد) بن مينا بن زكريا، ابن مماتي: وزير أديب. كان ناظر الدواوين في الديار المصرية. مولده بمصر ووفاته بحلب. وكان نصرانيًا، فأسلم هو وجماعته في ابتداء الدولة الصلاحية. قال القفطي: من أقباط مصر في عصرنا، وكان جده جوهريًا، يصبغ البلور صبغة الياقوت فلا يعرفه إلا الخبير بالجواهر. له (قوانين الدواوين) و(نظم سيرة السلطان صلاح الدين) و(نظم كليلة ودمنة) و(ديوان شعر) و(الفاشوش في أحكام قراقوش)، وهو ينسب إلى السيوطي، خطأ، و(لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة) استخلصه من ذخيرة ابن بسام. انظر: الأعلام، للزركلي (٣٠٢/١)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٦٣/١٣)، والوافي بالوفيات، للصفدي (١٧٢/٦).**

(٢) **انظر: مطالع البدور ومنازل السرور، لعبد الله الغزولي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،٢٠٠٦م، (١١١/١)، وأدب الحروب الصليبية، لعبد اللطيف حمزة (ص١٢٠).**

(٣) **انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٧/١)، ونور الدين زنكي في الأدب العربي، لمحمود فايز (ص٢٨٠).**

فالطربلسي يتناص مع قوله تعالى:﴿**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾[١]، وهو تناص من حيثُ اللَّفْظُ والْمَعْنَى، ولقد كان اللَّفظُ القرآني هُنَا، هو الْمُعينُ النَّابِضُ بالحياةِ، الذي رأى فيه الشَّاعِرُ خيرَ مَا يُعبِّرُ عنه.

ومن ذلك أيضًا قول **العماد الأصفهاني**:[٢][بحر الطويل]

فَصَبُّوا عَلَى الإِفْرِنْجِ سَوْطَ عَذَابِهَا بِأَنْ تَقْسِمُوا مَا بَيْتَهَا الْقَتْلُ وَالأَسْرُ

فالبيتُ الشِّعريُّ من قوله تعالى:﴿**فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ**﴾.[٣]

ومنه أيضًا: [٤][بحر الخفيف التام]

فَاشْكُرْ اللهَ حِيْنَ أَوْلَاكَ نَصْرًا فَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ

فهو من قوله تعالى:﴿**فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ**﴾.[٥]

وَمِنْ كُلِّ مَا سَبَقَ نَستطيعُ القَوْلَ إنَّ القُرآنَ الكريمَ ينبوعٌ صافيٌّ، يُضمن منهُ شاعرُ جهاد الحُرُوب الصَّليبيَّةِ مَا يَخْدِمُ قَضيَّتَهُ، وقد كانَ القُرْآنُ الكريمُ دَائمًا؛ ولدى كُلِّ الأمم مَصْدرَ سَخِيًّا من مَصَادِرِ الإِلْهَامِ الشِّعريِّ؛ حيثُ يَستمِدُّ منهُ الشُّعراءُ نَمَاذِجَ ومَوْضُوْعَاتٍ، وصُوَرًا أدبيَّةً، وقِيَمًا إنسانيَّةً؛ يستهدِي بِهَا كُلُّ مُقْبِلٍ عَلَى الشِّعْرِ، يَهُمُّهُ صَقْلُ شَخْصيَّتِهِ، وَحِسَّهُ مَعًا، بِمَا يَسْتَمِدُّهُ وَيَسْتَلْهِمُهُ مِنْ تُرَاثِهِ الثَّرِيِّ العَظِيمِ. فَمَا بَالُنَا بِمَنْ كَانَت قضيتُهُ الْجِهَادُ فِي سبيلِ اللهِ، فَمِمَّا لَا شَكَّ فيه أنَّ القُرْآنَ الكريمَ هُوَ مَا يَسْتعينُ بِهِ الشَّاعِرُ، إمَّا

---

(١) سورة الإنسان، الآية:١٠.

(٢) ديوانه (ص١٢٤)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٣٦/١)، ونور الدين زنكي في الأدب العربي، لمحمود فايز (ص٢٧١).

(٣) سورة الفجر، الآية:١٣.

(٤) ديوانه (ص١٨٩)،وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٥٧/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٢/٢).

(٥) سورة الحج، الآية:٧٨.

لِتقويَة نَفْسِهِ عَلَى الجِهَادِ، أَوْ حَثًّا لِغَيْرِهِ، وَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ فِي كُلِّ ذَلِكَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ.

فالقرآن الكريم كان بمثابة الأداة الحربية الجهادية التي استخدمها الشعراء في تلك الحقبة الزمنية، وكان القصد من وراء ذلك تأصيل الثقافة الإسلامية في نفوس المجاهدين لكي تكون الدرب الذي يسيرون عليه، فهو معلم طريقهم وقائدهم، وقد نجح الشعراء إلي حدٍ كبيرٍ في نشر الثقافة الإسلامية من خلال التناص اللفظي والمعنوي للقرآن الكريم، وكأن الشاعر أراد بهذا التناص لألفاظ القرآن الكريم أن يكون مؤصلًا للثقافة الإسلامية ، ليكون الحثُّ علي الجهاد أقوى أقوى تأثيرا وأعظم تحفيزا.

اَلْمَبْحَثُ اَلثَّانِي:

اَلتَّنَاصّ مَعَ اَلْمَعَانِي اَلْقُرْآنِيَّة لِتَأْصِيلِ اَلْأَخْلَاقِ اَلْإِسْلَامِيَّة فِي شِعْرِ جِهَادِ اَلْحُرُوبِ اَلصَّلِيبِيَّةِ (اَلتَّنَاصّ غَيْرُ اَلْمُبَاشِرِ)

- **تَوْطِئَةٌ**:

مُنذُ فَجْرِ الإسلامِ والقُرآنُ الكريمُ أصبحَ جُزْءًا من اللِّسَانِ العربي، فهو أكثرُ فُنُونِ القَوْلِ تدَاوُلًا، فلم تعرفْ العربيَّةُ عبر تاريخها الطَّويلِ خطابًا أبلغ ولا أرقى ولا أسمى من خِطابِ القرآن، ولا غرو[١]، فهو كلامُ الله ﷻ اَلْمُحكمُ الَّذِي لا يأتيهِ البَاطِلُ مِنْ بينِ يَدَيْهِ ولَا مِنْ خَلْفِهِ، تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ. وإذَا أَرَدْتَ أَنْ تقفَ على عظَمَةِ القُرآنِ فَاشْخُصْ ببصرِكَ إلى القومِ الَّذين نَزلَ بسَاحَتِهِم لأوَّلِ أَمْرِهِ، وتُلِيَتْ بينَ ظَهْرَانِيْهِمْ آيَاتُهُ، وتوجَّهَتْ إليهِمِ خِطَابَاتُهُ، فلقد كانوا قومًا ذوي بيان وفصاحة، بل رؤساؤهم خطباء، وعبيدهم شعراء، وفرسانهم حكماء، ولقد تحداهم القرآن جميعا في مرات كثيرة أن يأتوا بمثله، أو بأقل سورة منه، فعجزوا العجْزَ كُلَّهُ، وسجَّلَ عليهم القرآنُ عَجْزَهم، وقطع عليهم الطريق قوله تعالى:**﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾**.[٢]

وهكذا ظلَّ القرآنُ الكريمُ مُعْجِزًا، آخذًا بناصيَةِ كُلِ اَلْمُخالفين، مُتحدِّيًا بكُلِّ مَا فيه مِنْ كُلِّ الفُصَحاءِ؛ بأنْ يأتُوا ولو بآيةٍ أو جُزءِ آيةٍ، ولكن هيهات هيهات، إنَّهُ كلامٌ من رَبِّ العالمين، هل يتساوى مع أيِّ كلامٍ مَخلوقٍ،كلَّا سيظلُّ إلى يوم القيامة هكذا، مُتحدِّيًا مَحفوظًا بأَمْرٍ مِنْ الرَّحمنِ، من هذا

---

(١) انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، لجورجي زيدان، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م، (ص٢٧)، وتاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (ص٩٧).

(٢) سورة الإسراء، الآية:٨٨.

اَلْمُنطلق ظلَّ الشُّعراءُ يُوظِّفُون مِنْهُ كُلَّ مَا يَخدمُ تَجارُبَهُمْ الشِّعريَّةِ، فهو يُثْـرِي النَّصَّ، ويُضْفِي عليه من الظِّلالِ اَلْمُتنوِّعَةِ مَا لا يقدِرُ عليه غيرُهُ، وإنْ كُنَّا قَدْ تناولنا في اَلْمَبْحَثِ السَّابِقِ، التناص مع القرآنِ الكريمِ لَفْظًا ومَعْنًى، فإنَّنا نتناول في هذا اَلْمَبْحَثِ تناص الشُّعراءِ مع مَعَاني القُرْآنِ الكَريمِ،**وذلك بهدف تأصيل الأخلاق الإسلامية للجهاد**، فهو مُتغَلْغِلٌ في شِعْرِ تِلْكَ المُـدَّة بِكُـلِّ صُـوَرِهِ وأَشْكَالِهِ، فَقَدْ ضمنوا معاني القرآنِ الكريمِ أيضًا في شِعْرِهِمْ بِمُختلَفِ أَشْـكَالِ التناص، وكيف لا وقضيتهم التي تُؤرِّقُهُمْ؛ هي الجهادُ، فشعرُ تلك اَلْمَرْحَلَـةِ – ولا سيَّمَا القَرْن السَّادِس، هدَفُهُ الأصيلُ هُوَ دَحْـرُ الأعْـدَاءِ، وصـدُّهُمْ عـن أراضِي اَلْمُسلمين، لِذَا فإنَّ القرآن الكريم كان هُوَ اَلْمَعينُ اَلْخِصْبُ الذي ينهلون منه، ويستجيبُ لهم، ويُحقِّقُ لهم معانيهم التي يريدُون توصليها للمُتلقِّين، وهكذا يتناص الشعراء مع معاني القرآن الكريم في شعرجهاد الحـروبِ الصَّـليبيَّةِ، فنَجِدُ **القيسراني** يقول لنور الدين زنكي:[1][بحر الطويل]

وَقَـدْ عَلِمَ اَلْأَعْـدَاءُ مُـذْ بِـتَّ جَانِحًـا ... إِلَـى السِّلْمِ مَـا تَنْـوِي بِـذَاكَ وَمَـا تَنْحُـو

إِذَا مَـا دِمَشْـقُ، مَلَّكَتْـكَ عَنَانَهَـا ... تَـيَقَّنَ مَـنْ فِـي إِيلِيَّـا أَنَّـهُ اَلـذَّبْحُ

فَالْبَيْتُ اَلْأَوَّلُ مُتَنَاصًا من قوله تعالى:﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾[2]، فنور الدين هنا أشفق على اَلْمُسلمين من سَفْكِ دِمَائِهِمْ، فكَانَ يُؤْثِرُ السَّلامَ على الحرُوبِ، فضمن معنى الآيةِ الكريمةِ، وذلك بَرَاعَةٌ من الشَّاعِرِ، حيثُ إنَّ الآيَةَ الكريمةَ تُعبِّرُ عَنْ اَلْمِيلِ إلى السِّلْمِ بالجنوحِ، تعبيرٌ لطيفٌ، يُلْقِي ظِـلَّ الدِّعَـةِ الرَّقيق. فهي حركةُ جَنَاحٍ يَميلُ إلى جَانِبِ السِّلْمِ، ويُرْخِي رِيْشَهُ في وَدَاعَـةٍ!

---

(١) ديوانه (ص٦١)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٤٢/١)، ونور الـدين زنكي، للصلابي (ص١٠١).

(٢) سورة الأنفال، الآية:٦١.

كَمَا أَنَّ الأَمْرَ بِالجُنُوحِ إلى السِّلْمِ مَصْحُوبٌ بالتَّوكُّلِ عَلَى اللهِ السَّمِيعِ العَلِيْمِ الَّذِي يسمعُ مَا يُقَالُ ويَعْلَمُ مَا وراءه مِنْ مُخبَّآتِ السَّرائِرِ. وكأن الشاعر هنا أراد التأصيل لمعنى إسلامي رفيع؛ وهو الدعوة المفتوحة دائمًا وأبدًا إلي السَّلامِ، وكأنَّهُ يقول: إنْ كان الجهاد فريضة إسلامية؛ فالجنوح إلي السلم فريضةٌ إلهيَّةٌ لمَنْ أرادَهُ، وذلك يدفع كُلَّ شكٍّ في نفسِ كُلِّ مُجاهِدٍ، بهدف تأصيلِ خُلُقٍ ومعني إسلامي.

وفي التَّوكُّلِ عليه الكِفَايَةُ والأَمَانُ، ومن البَدهِي أنَّ جُنُوحَ الرَّسُولِ ﷺ للسِّلمِ سيكونُ عن قُوَّةٍ وليسَ عَنْ ضَعْفٍ، فَاخْتَارَ القيسراني هذه الآية متناصا إيَّاهَا؛ لِبيَانِ أنَّ نور الدين زنكي في جُنُوحِهِ للسَّلْمِ، هُوَ مُقْتَدٍ بالرسول ﷺ ، فالآيَةُ أَجْمَلَتْ كُلَّ مَا يُرِيدُ الشَّاعِرُ تَفْصِيلَهُ.

ومنه قولُ **ابن منير الطربلسى**[1]**لمجير الدين صاحب دمشق الذي وقف إلى جانب الصليبيين واستنصر بهم حتى حاصرها نور الدين وأنقذها** :[بحر الطويل]

حَمَلْتَ الصَّلِيبَ بَاغِيًا وَنَبَذْتَهُ ... وَثَغْرَاكَ مَوْطُوسُ بِبَابٍ وأَدْرَدُ

وَحَارَبْتَ حِزْبَ اللهِ وَاللهُ نَاصِرٌ ... لِنَاصِرِهِ وَدِيْنُ أَحْمَدَ أَحْمَدُ

تَنَصَّرْتَ حِيْنًا وَالْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ ... وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِهِ تَتَهَوَّدُ

فَالْبَيْتُ الثَّانِي مُتَنَاصٌ مع معنى قوله تعالى:**﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[2]، وإذا نظرنا إلى الأبياتِ نجدُ أنَّ الشَّاعرَ حمل الأبيات من ثقافته الإسلامية الكثير، فاستخدم لفظَ الصَّليبِ لِيَدُلَّ علي خطأ مُعْتقدِهِ، وإنَّهُ بِتَحَالُفِهِ مع أهْلِ الصَّليبِ قد أصبح منهم –وفي هذا يُشيرُ إلى نُقْطَةٍ مُهمَّةٍ، ألا وهي

(١) ديوان ابن منير (ص٢٦٠)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٦١/١).
(٢) سورة المجادلة، الآية:٢٢.

أنَّ الحُرُوبَ الصَّليبيَّةَ أَسَاسُهَا ديني عقائدي، فهو بتحالفه هذا معهم كأنه حقَّق مأمولَ هؤلاءِ القومِ من الحرب – أَلَا وهُوَ تَكْبِسُ عَلَمِ الإِسْلَامِ ورفعُ رايَةِ الصَّليبِ – وهيهات هيهات لهم – فبدأ الأمرُ عندما استعان بهم مُجير الدين كأنَّهُ كذلك أعلى شعارهم –الصليب – وبِذَا حَقَّقَ مُرَادَهُمْ – كَمَا قد تَوَهَّمَ – فنفى الشَّاعرُ وذكَّره بقوله تعالى:﴿**أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[1]؛أي: أنه يوجه له رسالة: تحالف مع مَنْ شِئْتَ وصَالِحْ مَنْ شِئْتَ فإنِّكَ بِلا شَكٍّ خَاسِرٌ؛ لأنَّ تلك هي سُنَّةُ الله، إنَّهُ ينصرُ حِزْبَهُ ؟ فهل مَنْ يدَّعي الخلافَ؟؟ فتضمينه لِمَعنى الآية الكريمة لا شَكَّ قد أدَّتْ معناه، وبيَّنَت مقصودَهُ، **بالإضافة إلى ذلك، فالأبيات حاولت بيان معنى إسلامي؛ وهو ضرورةُ الرَّدُّ علي المُعتدي حتى لا يزيدُ في عدوانه، وأنَّ المسلمين من حقِّهم ردُّ فعلٍ ضدَّ العدوان، وليسوا دُعاةً للحرب، وإنَّما إذا اضطرَّتهم الظُّروف يكونون في الصفوف الأولي، وكأنَّ ابن منير يريد بتلك الصورة قذفَ الرَّعبِ في نفس هذا الخائن، وكانت وسيلته في ذلك المعاني القرآنية المؤصلة للمعاني الإسلامية.**

وقد مدح **أبو يعلي القلانسي**[2] أبياتًا ذكر فيها محاسن نور الدين، فقال:[3] [بحر الخفيف]

مَا رَأينَا فِيمَا تَقَدَّم يَوْمًا ... كَامِل الْحسن غَايَة فِي الْبَهَاءِ

مِثْلَ يَوْمِ الْفِرنْجِ حِينَ عَلَتْهُمْ ... ذِلَّةُ الْأَسْرِ وَالْبَلَا وَالْفَنَاءِ

---

(١) سورة المجادلة، الآية:٢٢.

(٢) القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، الدّمشقيّ السبعيّ، الرَّجُل الصالح. المعروف بابن القلانسي (المتوفى: ٥٥٥ه). كان يحفظ معاني القرآن للناس، وكان عبدًا صالحًا أقام بالجامع أربعين سنةً بلا غطاءٍ ولا وطاء –رحِمَه اللَّه تَعَالَى. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٧٤/٣٠)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (١٨٩/١٥).

(٣) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٢٥/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣٤٥/١)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (٥٢٤/١).

هَكَـذَا هَكَـذَا هَلَـاكُ الْأَعَـادِي عِنْـدَ شَـنِّ الْإِغَـارَةِ الشَّـعْوَاءِ
فَجَـزَاءُ الْكَفُـورِ قَتْـلٌ وَأَسْـرٌ وَجَـزَاءُ الشَّـكُورِ خَيْـرُ الْجَـزَاءِ

فالأبياتُ الشِّعريَّةُ تؤكِّدُ حقيقةً، ألَا وهِي أنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العمَلِ، وهو اشتقاقٌ مِنْ مبدأ إسلاميٍّ، قال رسول الله ﷺ:«**الذَّنْبُ لَا يُنْسَى، والبِرُّ لا يُبْلَى، والدَّيَّانُ لا يَمُوتُ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ، فَكَمَا تَدِيْنُ تُدَانُ**»(١)، ومن قوله تعالى:﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ (٢)، وأيضًا معني قوله تعالى:﴿**كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ**﴾(٣)، فالشَّاعِرُ وجَّهَ للصَّليبيين رِسَالَةً قاسِيَةً: أَلَسْتُمْ مَنْ بَدَأْتُمْ بالعُدْوَانِ والظُّلْمِ؟ أَلَسْتُمْ مَنْ قَتَلتم النِّسَاءَ، وشَرَّدْتُمْ الأطفالَ، واستقويتم على العَجَزَةِ، ودَمَرْتُم الأَوْطَانَ؟؟

اليوم تدفعون ثَمنَ أفعالكم الدَّنيئةِ، فالجزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فاليومُ أخرجكم نور الدين وطردكُمْ، وغدًا نُخرجكم من جميع أراضي الْمسلمين، فتضَافَرَتْ في الأبياتِ الْمَعَاني النَّبويَّةِ الشَريفَةِ والْمَعَاني القُرْآنيَّةِ الكريمةِ، ويبدو أنَّ الأبيات تسيرُ كسابقتها من حيث التأصيل للخُلق الإسلامي الرفيع للجهاد الذي يؤكِّد ضرورة ردِّ كيد المعتدي، ويبدو هنا أكثر وضوحًا في استخدام الألفاظ؛ حين قال (فجزاء الكفور قتل وأسر ..... وجزاء الشكور خير الجزء).

---

(١) الحديث ورد في مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ه، (١١/١٧٨/حديث رقم:٢٠٢٦٢)،وكنز العمال (١٦/٢/حديث رقم:٤٣٦٧٢)، وفتح الباري (١٣/٤٥٨).

(٢) سورة الرحمن، الآية:٤٠.

(٣) سورة القمر، الآية:٥٤.

ولَمَّا فُتِحَتْ طبريّةُ وانتصرَ صلاحُ الدين في موقعةِ حِطِّين ابتهج **ابن الساعاتي**، وأخذ يتغنَّى بفتحها قائلًا:(١) [بحر الوافر]

جَلَتْ عَزَمَاتُكَ اَلْفَتْحَ اَلْمُبِيْنَا	فَقَدْ قُرَّتْ عُيُونُ اَلْمُؤْمِنِيْنَا
رَدَدْتَ أُخَيْذَةَ الإِسْلَامِ لَمَّا	غَدَا صَرفُ اَلْقَضَاءِ بِهَا ضَمِيْنَا
يُقَاتِلُ كُلُّ ذِي مُلْكٍ رِيَاءً	وَأَنْتَ تُقَاتِلُ اَلأَعْدَاءَ دِيْنَا
وَمَا طَبَرِيَّةٌ إِلَّا هَدِيُّ	تَرَفَّعَ عَنْ أَكُفّ اللاَّمِسِيْنَا
قَضَيْتَ فَرِيْضَةَ اَلإِسْلَامِ مِنْهَا	وَصَدَّتَ الأَمَانِي والظُّنُوْنَا

تَهَلَّلَ الشَّاعِرُ وأُطْرِبَ مِنْ هَذَا الانْتِصَارِ العَظِيْمِ، وكيف لا؟؟ ونحن ما زلنا إلى اليوم نتهلَّلُ ونفرح لهذا النَّصرِ، فما بَالُنَا بِمَنْ عَاشَ فَرحَةَ هَذَا الانتصارِ، فالشَّاعِرُ ضمن من معاني القرآن الكريم مَا يُعزِّزُ نَصْرَهُ، ويُوصلُهُ لإحْسَاسِ النَّشوةِ والفَخْرِ الذي عاشه، فتناص في البيتِ الأوَّلِ مع قوله تعالى:﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيْنًا**﴾(٢)،وأيضًا قوله تعالى:﴿ **قَاتِلُوْهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللهُ بِأَيْدِيْكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُوْرَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ**﴾.(٣)فَشِفَاءُ الصَّدْرِ وإقرارُ العَيْنِ نِعْمَةٌ عظيمَةٌ لا يُدركُهَا إِلَّا مَنْ حُرِمَ مِنْهَا، فرؤيةُ الصَّلِيبيين يَعيثُونَ فَسَادًا في أراضي الْمُسلمين؛ يُوْغِرُ الصَّدرَ، فرزقنا الله مَا تَقَرُّ به عيُوننا، ونشفي به صُدُورَنَا – فَمَا أَحْوَجَنَا اليومَ إلى مثلِ هَذَا الانتصارِ – وَهَكَذَا ضمن الشَّاعِرُ مِنْ آياتِ الذِّكْرِ الحكيمِ مَا يُعَزِّزُ فَرحَهُ، ويروي عَطَشَهُ لهَذَا الانتصارِ. مِنْ مُنْطَلَقِ قوله تعالى:﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللهِ جَمِيْعًا وَلَا**

(١) انظر: ديوان ابن الساعاتي (ص٢١٠)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري (١٢٧/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣٠٤/٣)، كتاب الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣/ ٣٠٥)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبدالجليل حسن المهدي، (ص٦٥).

(٢) سورة الفتح، الآية:١.

(٣) سورة التوبة، الآية:٩.

تَفَرَّقُوا﴾[١]، سعى نور الدين للصُّلْحِ بينه وبينَ حُكَّامِ دِمَشْقَ، وذلك في إطَارِ تَحقيقِ النُّصْرَةِ على الصَّليبيين اَلْمُتَّحِدِين أصلًا تحتَ شِعَارِ صَلِيبِهِمْ، فَمَا بَالُنَا بِمَنْ يتوحَّدُ تَحْتَ «**لا إله إلا الله**»، وهو بذلك وضَّح للمجاهدين أثر ثمرة الجهاد في النفوس؛ مُستعينًا بالمعني القرآني لترسيخ الخلق الإسلامي للجهاد. وقد حاولَ الشُّعَرَاءُ تعزيزَ ذلك.

ومنه أيضًا **قول ابن منير** يقول:[٢][بحر الكامل]

يَا نُورَ دِيْنِ اللهِ وَابْنَ عِمَادِهِ وَالْكَوْثَرُ اِبْنُ اَلْكَوْثَرِ اِبْنُ اَلْكَوْثَرِ

فالأبياتُ الشِّعريَّةُ يتناص فيها الشَّاعِرُ مع أَسْمَاءَ السُّوَرِ القرآنيَّةِ، وقد كثرت تلك الظاهرة في هذا العصر، وذلك لأنَّ الشُّعراءَ يُعَانُونَ أَزْمَةً واحدةً، وعدوًّا واحدًا، فكانُوا يستعيذُون بالله العظيمِ؛ مِنْ خِلَالِ سُورِهِ الشَّريفَةِ في مُوَاجَهَةِ هَذَا العَدُوِّ، وهذا شَكْلٌ مُختلفٌ مِنْ أَشْكَالِ التَّناص القُرْآني مِنْ خِلالِ مَعَانِيْهِ.

ومنه أيضًا قول **العماد الأصفهاني**:[٣][بحر الطويل]

فَصُبُّوا عَلَى اَلإِفْرِنْجِ سَوْطَ عَذَابِهَا بَأَنْ تَقْسِمُوا مَا بَيْنَهَا اَلْقَتْلَ وَالأَسْرَا

فهي من قوله تعالى:**﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾** [٤]، وهي صُورةٌ دقيقةٌ، تُصَوِّرُ حَالَةَ الغَضَبِ العَارِمِ التي يَعِيشُهَا الشَّاعِرُ مِنْ الصَّليبيين، فهُوَ يَطلبُ مِنْ اَلْمُجاهِدِين صَبَّ العَذَاب اَلْمَرِيرِ والشَّدِيْدِ عَلَيْهِمْ،ولا عَجَبَ،فَهُمْ مَنْ

(١) سورة آل عمران، الآية:٢٦.

(٢) ديوان ابن منير الطربلسي، (ص٥٤)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٦٧/١)،

(٣) ديوانه (١٢١)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٣٥/٢)، والعماد الأصفهاني حياته فكره أدبه ، لزينب ناصر (ص٢١٠).

(٤) سورة الفجر، الآية:١٣.

بَدَأوا بالسَّفْكِ والدَّمِ والأسْرِ، والشَّاعِرُ يُطالِبُ بِرَدِّ فِعْلٍ مُمَاثِلٍ لِمَا فَعَلُوْهُ، وَهَـذَا البَيْتُ يُصَوِّرُ الحالَةَ النَّفسيَّةَ التي كانَ النَّاسُ يُقَاسُونَها في تِلْكَ المُدَّة.

ومنه أيضًا **للأصفهاني**: [1][بحر الخفيف التام]

فَاشْكُرْ اَللهَ حِيْنَ أَوْلَاكَ نَصْرًا فَهُوَ نِعْمَ اَلْمَوْلَى وَنِعْمَ اَلنَّصِيْرَ

فالعمادُ الأصفهاني – وهو يبدُو مُتَأثِّرًا بِالقُرْآنِ كثيرًا – يَطلِبُ مِنْ نـور الدين شُكْرَ نِعْمَةِ النَّصرِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى هُوَ الذي تَوَلَّاهُ بِالفَضْلِ وَالْمِنَّةِ ونَصرَهُ؛ لِذَا يَسْتوجبُ منه اَلْمَوْقِفُ النَّصْرَ، وهُوَ مِنْ معنى قول الله تعالى:﴿ **فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾[2]، فالله تعالى يُعطي نَصْرَهُ وتأييـده لِأُولَئِكَ الَّذِين اِعْتَمَدُوا عليه وتوكَّلُوا عليه، ومِنْ مَبْدَأ الشُّكْرِ يزيدُ النِّعَمَ، ضـمن الشَّاعرُ من القُرآنِ الكريمِ اَلْمَعنى الذى أراد أن ينقله للمتلقِّي؛ وهـو الشُّـكرُ والاعتمادُ، لِيَنَالُوا النَّصْرَ والتَّأييدَ، وقد كان التَّناص هُنَا مُتوافِقًا ونَفْسِيَّةِ الشَّاعِرِ والحالَةِ العَامَّةِ التي يشعرُ بِهَا، وكذا يَتَوَافَقُ والجوِّ العامِّ للمُتلقِّينَ في تلك المُدَّة، حيثُ الشُّعور العامّ بالحاجَةِ إلى نَصْرِ الله وتأييده، وأتى الشِّعرُ لِيُعْطِـيَ لَهـم مِفْتَاحَ هَذَا النَّصْرِ؛ مِنْ خِلَالِ الشّكْرِ والتَّوكُّلِ، وهي من الأخلاق الجهادية التي يحتاجون إلي ترسيخها في نفوسهم.

وفي هذا يقول **أبو اَلْمُظفر الأبيوردي**:[3][بحر الطويل]

---

(١) ديوانه (ص١٥٠)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شـامة المقدسـي (٢٢/٢)، والعمـاد الأصفهاني حياته فكره أدبه ، لزينب ناصر (ص٢١٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية:٤٠.

(٣) ديوانه (ص٦٤٤)، وينظر: نهاية الإرب، للنويري (٢٢٤/٥)، والكامل في التاريخ، لابـن الأثير (٤٢٦/٨)، وتاريخ الإسلام، للـذهبي (٨/٣٤)، والنجـوم الزاهـرة، لابـن تغـري (١٥١/٥)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي (ص٦٨).

مَزَجْنَا دِمَاءً بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَاحِمِ
وَشَرُّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعٌ يُفِيضُهُ إِذَا الْحَرْبُ شُبَّتْ نَارُهَا بِالصَّوَارِمِ
وَبَيْنَ اخْتِلَاسِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَقْفَةٌ تَظَلُّ لَهَا الْوُلْدَانُ شِيْبَ الْقَوَادِمِ

إنَّهُ يومٌ عصيبٌ نَحْنُ عنْهُ غافِلُون، ذلك اليومُ الذي حدَّثَنَا عنهُ القُرآنُ الكريمُ، إنَّهُ يومُ القِيَامَةِ، إنَّهُ أهَمُّ يومٍ في حَيَاةِ كُلِّ إنْسَانٍ، حَيْثُ يَرَى مِنْ الأَهْوَالِ والضُّغُوطِ مَا لا تَتحمله الجبالُ؛ لأنَّهُ يومٌ عظيمٌ يغضَبُ فيه الْخَالِقُ تَبَارَكَ وتَعَالى غَضَبًا شديدًا، لأنَّهُ يومُ الانتقَامِ مِنْ الْمُجرمين والْمُستكبرين، فالشَّاعِرُ يتناص مع قوله تعالى:﴿**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**﴾[1]، ففي هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ أهوالَ يومِ القِيَامَةِ تَجعلُ شَعْرَ الأَطْفَالِ يَشِيْبُ مِنْ شِدَّةِ الضُّغُوطِ والأَهْوَالِ، فالشَّاعِرُ جَعَلَ احْتِلَالَ القُدْسِ بِمَثَابَةِ تَعْجِيلٍ لِهَذَا اليومِ، حتَّى كأنَّهُ قدْ حَدَثَ، ولاشَكَّ أنَّ تضمين الآيَةِ الكريمةِ؛ بُغية تأصيل الخلق الجهادي الْمُتَمَثِّلِ في الجَلَدِ وتَحَمُّلِ الْمَصَاعِبِ، ساعدته على توصيلِ هذا الْمَعنى الْمُرادِ.

وقال **وجيه بن عبد الله التنوخي**[2] يَرْثِي الْقُدْسَ: [3] [بحر الوافر]

أَحَلَّ الْكُفْرُ بِالْإِسْلَامِ ضَيْمًا يَقُولُ بِهِ عَلَى الدِّينِ النَّحِيبُ
وَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ أَضْحَى سَلِيبًا وَمُسْلِمَةٍ لَهَا حَرَمٌ سَلِيبُ
فَقُلْ لِذَوِي الْكَرَامَةِ حَيْثُ كَانُوا أَجِيبُوا اللَّهَ وَيْحَكُمُوا أَجِيبُوا

(١) سورة المزمل، الآية:١٧.

(٢) التنوخي (ت٥٠٣هـ): وجيه بن عبد الله بن نصرٍ أبو المقدام التنوخي، شاعر فصيح، لمّا فعلت الفرنج ما فعلت دخلها وهو يبكي، توفي رحمه الله بدمشق، وقد جاوز السبعين، سنةَ ثلاث وخمسمائة. انظر: الوافي بالوفيات (٤٤٥/٧)، والنجوم الزاهرة (٢م٥٠).

(٣) انظر: النجوم الزاهرة، لابن تغري (١٥١/٥)، وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (٦١/١)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي (ص٧٠).

فالبيتُ الأخيرُ من قوله تعالى:﴿**يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم**﴾[1]،وتناص الشَّاعِرِ للبيتِ من القرآنِ الكريمِ يدخلُ في إطارين:**الإطارُ الأَوَّلُ**:إِحْيَاءٌ لِسُنَنِ اللهِ الكونيَّةِ، فاللهُ تَعَالَى قَضَى أَنَّ مَنْ يُجيبُهُ لِتَعَاليمِهِ وشَرَائعِه؛ يُجيْبُهُ لِمَا يُرِيْدُهُ؛ وذلك إعلاء للقيم الجهادية. **والإِطَارُ الثَّانِي:** التَّأثيرُ الجَمَاهيري لِمَعنى الآيَةِ الكَريمَةِ، فِهَي تلعَبُ دورًا كبيرًا في استشارَةِ العَزَائِمِ، وهُوَ مَا نَزَعَ الشَّاعِرُ إلي تَحقِيقِهِ؛ مِنْ خِلَالِ توظيفِ مَعَاني القُرْآنِ الكريمِ.

.ومنه أيضًا **للأصفهاني**: [2][بحر البسيط]

فَطَهِّرْ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى وَحَوْزَتَهُ مِنْ النَّجَاسَاتِ وَالإِشْرَاكِ وَالصُّلُبِ

عَسَاكَ تَظْفَرُ فِي الدُّنْيَا بِحُسْنِ ثَنَا وَفِي الْقِيَامَةِ تَلْقَى خَيْرَ مُنْقَلَبِ

فهي من قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[3]، وأيضًا معنى قوله تعالى:﴿**وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ**﴾[4]، ومِمَّا لا شَكَّ فيه أنَّ اَلْمَسْجِدَ الأَقْصَى يُمثِّلُ قِيْمَةً عظيمةً في العقيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، ومِنْ الواجِبِ علينا الدِّفَاعُ عنه، وما أشبَه اليوم بالبَارِحَةِ، فلو قَرْأنَا البيتَ مُجردًا عن قائِلِه لأشعرنا أنَّ قائلَهُ يتحدَّثُ عنْ يومِنَا، فنَحْنُ أيضًا نعيشُ اَلْمَأْسَاةَ نَفْسَهَا والفَجِيْعَةُ نفسها؛ لِذَا لَم يَصْعُبْ علينا تَفَهُّمُ مَشَاعِرِهِ، ولَاشكَّ أنَّ توظيفه للقُرآنِ الكَرِيمِ إِنَّما هُوَ مِنْ نُزُوعِ النَّفْسِ لله، وإلى الاسْتِقْوَاءِ بآيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ في مُوَاجَهَةِ عَدُوٍّ ضعيفٍ، وحُكَّامٍ مُحِبِّي سُلْطَةٍ؛ لِذَا استَعَانَ الشَّاعِرُ –

---

(١) سورة الأحقاف، الآية:٣١.

(٢) انظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٦٨/٢)، وخريدة القصر، للأصفهاني(٣٦٧/١)، والعماد الأصفهاني حياته فكره أدبه ، لزينب ناصر (ص٢١٠).

(٣) سورة الأحزاب، الأية: ٣٣.

(٤) سورة ص، الآية:٥٤.

ومَا زَالَ يَسْتَعِيْنُ – بِمَعَاني القُرْآنِ الكَرِيمِ، لتأصيل وبيان الأخلاق الإسلامية للجهاد.

ومن ذلك أيضًا **قول العماد**:(١) [بحر الكامل التام]

نَجُّوا البلادَ من البلاءِ بِعْدَلكم فالظلمُ بادٍ في الجميع صُرَاحُهُ

وَاسْتَفْتِحُوا ما كانَ من مُسْتَغْلِقٍ فيها فربُّكمُ لكمْ فَتَّاحُهُ

فهي من قوله تعالى:﴿**عِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾(٢)، فالشَّاعِرُ يَطلبُ مِنْ اَلْمُجاهدين الشَّرارَةَ الأُولى للانْطِلَاق، وهِيَ أنْ يَبْدَؤا ويَسْتفتحُوا، واللهُ تَعَالى يتولَّى البَقِيَّةَ، ويُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّ اللهَ تَعَالى لَدَيْهِ مَفَاتِحُ الغَيْبِ، التي تشملُ فِيْمَا بينها مَفَاتِحَ النَّصْرِ، ولكنْ يطلبُ مِنَّا أنْ نقومَ بفتْحِ اَلْمُستغْلَقَاتِ اَلْخَاصَّةِ بِنَا، مِنْ خُذْلانٍ وتراخٍ، وأنْ نَهُبَّ مِنْ أَجْلِ النُّصْرَةِ، عندها سيفتحُ اللهُ مِنْ لَدُنْهِ بِمَفَاتحِهِ مَا تَمَّ استغلاقُهُ، فتناص الشَّاعِرُ مع مَعْنى الآيَةِ الكريمةِ؛ لِيَدُلَّنا عَلَى ذلك .

ومنه أيضًا قول **ابن القيسراني**:(٣) [بحر البسيط التام]

حَتَّى إِذَا مَا أحَاطَ الْمُشْرِكُونَ بِنَا كَاللَّيْلِ يَلْتَهِمُ اَلدُّنْيَا لَهُ ظُلَمُ

وَقَفْتَ فِي الْجَيْشِ وَالأَعْلَامُ خَافِقَةٌ بِالنَّصْرِ كُلّ قَنَاةٍ فَوْقَهَا عَلَمُ

يَحُوْطُكَ اللهُ صَوْنًا عَنْ عُيُوْنِهِمْ وَاللهُ يعْصِمُ مَنْ بِاللَّهِ يَعْتَصِمُ

---

(١) ديوانه (ص٦٦)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢/٤٠٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية:٥٩.

(٣) ديوانه (ص٦٦٢)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١/١٩٤)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي (ص٦٧).

فالبيتُ الأخيرُ من قوله تعالى:﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[1]، وأيضًا من معنى قوله:﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[2]، والشَّاعرُ هُنَا يؤصِّلُ لِمَعنى مُهمٍّ، وهو أهميَّةُ الاعْتِصَامِ بِالله، فعلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هذا مَبدأٌ بديهيٌّ في الإِسْلَامِ، ولكن في مَوَاقِفِ الشِّدَّةِ بَالِغَةِ السُّوْءِ لابُدَّ مِنْ التَّذْكِرَةِ، ولأنَّهُ من أهمِّ الأخلاقِ الجهاديَّةِ في الإسلامِ، من أجلِ طَلَبِ النُّصْرَةِ، والشَّاعِرُ في تِلْكَ الأبياتِ يُصورُّ لَنَا مَوْقِفًا بَالِغَ السُّوءِ، ويُحمِّلُ أبياتَهُ معاني تَخدمُ قضيتَهُ، وهِيَ أَنَّ اللهَ كَتَبَ على نَفْسِهِ مَنْ اِعْتَصَمَ بِهِ وُقِيَ وحُفِظَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، واستعَانَ بالآيةِ الكريمةِ؛ لِتَبيِّنَ لِلمُتلقِّي ذلك، فَهِيَ مِنْ سُنَنِ اللهِ الكونيَّةِ التي لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ، فكَانَ تَوْظِيفُهُ جِسْرًا بين النَّصِّ اَلْمُوظَّفِ واَلْمُتلقِّي لِهَذَا النَّصِّ.ومن ذلك أيضًا **قول العماد**:[3][بحر البسيط التام]

وَلَّوْا تَضيْقُ بِهِمْ ذَرْعاً مَسَالُكُهُمْ وَالْمَوْتُ لَا مَلْجَأٌ مِنْهُ وَلَا وَزَرُ

فهي من قوله تعالى:﴿**أَينمَا تكونُوا يُدرككُم الموتُ ولو كُنتمْ في بُرُوجٍ مُشيَّدَةٍ**﴾[4]، أتخافون الجهاد؟ أتهابون الموت؟ كلا، تذكروا معي قوله تعالى؛ كي تقاتلوا وأنتم واثقون إِنْ أَرَادَ اللهُ اَلْمَوْتَ، فهِيَ الشِّهَادَةُ، وإِنْ أَرَادَ النَّجَاةَ فَهِيَ اَلْمَفَازَةُ، فَالْمَوْتُ واحِدٌ، والأجلُ مُحدَّدٌ، ولكن الاِسْتِشْهَادَ أَوَّاهُ منه، فهو ثمرة التقوي، هو أملُ اَلْمُؤمنين، لِذَا تَذَكَّرُوا تِلْكَ اَلْمَعَاني جيِّدًا، وأنتم تقاتلون، كُلُّ تِلْكَ اَلْمَعَاني أَوْصلَهَا الشَّاعِرُ فقط مِنْ خِلَالِ توظيفِهِ لِمَعنى الآيةِ الكريمةِ، وهو خُلُقٌ جهاديٌّ عظيمٌ، أراد الشاعر من خلال القرآن الكريم أن يبينه

(١) سورة آل عمران، الآية:١٠٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية:١٠١.

(٣) ديوانه (ص١٢٦)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٣١/١)، والعماد الأصفهاني، لزينب ناصر (ص٢٠٣)، وعصر الدولة الزنكية، للصلابي (ص١١٥).

(٤) سورة النساء، الآية:٧٥.

ويوضحه، فثمرةُ التقوي في الاستشهاد، وفي كُلِّ الأحوال اعلمْ أيُّها المجاهد أنَّك ستموت، فما أجملها من شجرة ومعاني طيبة لو أثمرت لدى المجاهدين.

وأيضًا **قول العماد**:(١)[بحر الكامل التام]

قَطَنَتْ بِأَوْطَانِ اَلنُّجُومِ فَكَمْ لَهَا مِنْ مَارِدٍ قَذَفَتْ إِلَيْهِ بَرَاجِمُ(٢)

أتبعتَ جنّ سَرَايَاهُمْ مُضْمرةً فِيهَا نُجُومٌ إِذا وُجِدَ اَلْوَغَى رَجَمُوا

فهو من معنى قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ**﴾(٣)،فهي من توظيفِ معاني القُرآنِ الكريمِ، لتقريبِ اَلْمَعَاني إِلى أَذْهَانِ اَلْمُجاهدين وترسيخ أخلاق الجهاد لديهم.

ومن التناص مع القَصَصِ القُرْآني أَيْضًا **قول الجلياني**، وهو يَصِفُ الإفرنجَ بَعْدَ استيلاءِ صلاح الدين الأيوبي علي بيت المقدس:(٤)[بحر البسيط]

وَيَا ضُحَى اَلسَّبْتِ مَا لِلْقَوْمِ قَدْ سَبَتُوا تَهَوَّدُوا أَمْ بِكَأْسِ اَلطَّعْنِ قَدْ سَكِرُوا

وَيَا ضَرِيحَ شُعَيْبٍ مَالَهُمْ جَثَمُوا كَمَدْيَنَ أَمْ لَقُوا رَجْفًا بِمَا كَفَرُوا

ومنه أيضًا:(٥)[بحر البسيط]

---

(١) ديوانه (ص٦٦٩)، وينظر: بيت المقدس، لعبد الجليل المهدي (ص٧٨).

(٢) البُرجُمة بالضم: واحدة البراجم، وهى مفاصل الأصابع التى بين الأشاجع والرواجب، وهى رءوس السلاميات من ظهر الكف، إذا قبض القابض كفَّهُ نشزت وارتفعت. والبراجم رؤوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض الشخص كفَّهُ، الواحدة برجمة. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م. (ص١٢١)، والصحاح، للجوهري (١٤٨/٦).

(٣) سورة الملك، الآية:٥.

(٤) انظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤٠٦/٣).

(٥) انظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٦٨/٢)، وخريدة القصر، للعماد الأصفهاني (٣٦٧/١).الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (٩٦/٢).

وَإِنْ بَـذَلْتَ لِفَـتْحِ اَلْقُـدْسِ مُحْتَسِـباً ... لِلأَجْـرِ، جُوْزِيْـتَ خَيْـراً غَيْـرَ مُحْتَسَـبِ
والـذِّكْرُ بِـالخَيْرِ بَـيْنَ النّـاسِ تَكْسِبُهُ ... خَيْـرٌ مِـنْ اَلْفِضَّـةِ اَلْبَيْضَـاءِ وَالـذَّهَبِ
فَطَهِّـرْ اَلْمَسْـجِدَ اَلْأَقْصَـى وَحَوْزَتَـهُ ... مِـنْ النَّجَاسَـاتِ وَالإِشْـرَاكِ وَالصُّـلُبِ
عَسَاكَ تَظْفَرُ فِي الـدُّنْيَا بِحُسْنِ ثَنَـا ... وَفِـي اَلْقِيَامَـةِ تَلْقَـى خَيْـرَ مُنْقَلَـبِ

فالجهادُ يحتاجُ الصَّبرَ، ويَحتاجُ العزيمةَ، فضمن الشَّاعرُ مـن معـاني الآياتِ مَا يُوَافِقُ ذلك، حيثُ ضمن من قوله تعالى:﴿**إِنَّمَـا يُـوَفَّ الصَّـابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[1]، فالجهادُ صبرٌ على اَلْمَكَارِهِ، وصبرٌ على اَلْمَهَالِكِ، لِذَا لا بُدَّ من بيانِ عاقِبَةِ مَنْ يَبْذُلُ كُلّ ذلك، مِنْ أَجْلِ حثِّ النُّفُوسِ على الاستبسالِ، من أجلِ نَيْلِ الجزَاءِ الدِّنيويِّ ، ثُمَّ انتقلَ مِنْهَا إلى بيانِ الجزَاءِ في الآخِرَةِ، وهُوَ مُوظَّفٌ من معنى قوله تعالى:﴿**وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾[2]، فما أجمل أن يوعد الإنسـان بخيري الدنيا والآخرةِ، وهكذا فعلَ الشَّاعِرُ مِنْ خِلالِ التنـاص بـين نصـه الشعري والنَص القرآنيِّ الذي خَلَقَ جَوًّا من التَّوَاصُلِ والتَّفَاعُلِ، ولم يكنْ عِبْئًا عَلَى النَّصِّ الشِّعرى، بل أتى لتوكيد العلاقة بين المجاهد العربـي والأخـلاق الجهادية المتمثلة في كُلِّ ما يحتاجه الجهاد – وتلك الأخلاق الجهادية لا تقـلُّ أهميَّةً عن حمل السلاح –من صبرٍ ووفاءٍ،واجتهادٍ وتوكُّلٍ علي الله واعتصامٍ به، ويُذْكَرُ أَنَّ شَابًّا كان مأسورًا في بيتِ اَلْمَقْدِسِ، وهُوَ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ كتـبَ إلى صلاح الدين أبياتًا يدعُوهُ فيها إلى تحريرِ القُدْسِ فقال:[3][بحـر الكامـل المجزوء]

جَـاءَتْ إِلَيْـكَ ظُلَامَـةٌ ... تَسْـعَى مِـنْ اَلْبَيْـتِ اَلْمُقَـدَّسْ

(١) سورة الزمر، الآية:٣٩.
(٢) سورة ص، الآية:٢٥.
(٣) انظر: صلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (ص٥٥٦).

كُـــلُّ اَلْمَســـاجِدِ طُهِّـــرَتْ وَأَنَـــا عَلَـــى شَـــرَفِي أُدَنَّـــسْ

فهو من قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا اَلْمُشْرِكُوْنَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا اَلْمَسْجِدَ اَلْحَـرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾[١]، فكوَّنَ الصَّليبيون يَعْيثُونَ في الأَرْضِ فَسَـادًا، ويُدَنِّسُـونَ اَلْمَسْجِدَ اَلأَقْصى بِخُطَاهُمْ، هذَا رِجْسٌ يَجبُ تَطْهِيرُهُ والقَضَاءُ والتَّخَلُّصُ منـــه، لِذَا فَإِنَّ هَذَا الشَّابَّ يدعُو ويستحثُّ بتلك الأبياتِ البَسيطَةِ صلاحَ الدِّينِ مِنْ أَجْلِ الذَّوْدِ والدِّفَاعِ عَنْ اَلْمَسْجِدِ الأَقْصَى، وتلك الأبياتِ تُوضِّحُ لَنَا حَقِيقَةَ أَنَّ القُرْآنَ الكريمَ بِأَلْفَاظِهِ ومَعَانِيهُ كان يسري في شَرَايينِ العامَّة في ذلك الوقتِ، حتَّى مِنْ غيرِ الشُّعَراءِ عِنْدَمَا يكتبُونَ شَيئًا يُعبِّرُ عَمَّا يَجُـولُ فـــي خـــاطرهم، فـــإنَّهم يتناصون مع القُرآنَ الكريمَ فهو يُعَبِّرَ عَنْهُمْ خَيْرَ تَعْبِيْرٍ.ويدخلُ في هَذَا الإِطَارِ أيضًا **قَوْلَ الأصفهاني**:[٢] [بحر الطويل]

فَلَـا يَسْتَحِقُّ الْقُدْسُ غَيْـرَكَ فِي اَلْـوَرَى فَأَنْـتَ الَّـذِي مِـنْ دُوْنِهِـمْ فَـتَحَ اَلْقُدْسَـا
وَمِـنْ قَبْـلِ فَـتْحِ الْقُـدْسِ كُنْـتَ مُقَدَّسَـا فَلَـا عَـدِمَتْ أَخْلَاقُـكَ اَلطُّهْـرَ والقُدْسَـا
وَطَهَّرْتَـــهُ مِـــنْ رِجْسِـــهِمْ بِـــدِمَائِهِمْ فَأَذْهَبْتَ بِـالرِّجْسِ الَّـذِي ذَهَّـبْ اَلرِّجْسَـا

فتلكَ الأبياتُ مُكَمِّلَةٌ للأبياتِ السَّابِقَةِ، فالأَوَّلُ يدعُو إلى التَّطهيرِ؛ باعْتِبَارِ اَلْمشركين نَجَسٌ، ثُمَّ جَاءَتْ تِلْكَ الأبياتُ مُكَمِّلَةً فَبَيَّنَتْ أَنَّ هَذَا التَّطهيرَ قَدْ حَدَثَ، وإِنَّ اَلْمُسلِمِين قَدْ طَهَّرُوهُ بِدِمَائِهِمْ، فكأنَّ الأَبْيَاتَ الشِّعريَّةَ في هَذَا اَلْعَصْرِ نِغَمَةٌ مُتتابِعَةٌ، كُلُّ بَيْتٍ يُكَمِّلُ اَلآَخَرَ وَيُؤَكِّدُ فِكْرَتَهُ، وذلك نظرًا لِتَوَحُّدِ اِلْفِكْرِ اَلْجَمَاعِي في تلك اَلْمَرْحَلَةِ، فالكُلُّ شَغُوْفٌ حَرِيْصٌ عَلَى دَحْرِ هَـؤلاءِ القَتَلَـةِ؛ مَنَجِّسِـي

(١) سورة التوبة ، الآية: ٢٨.

(٢) ديوانه (ص٢٠٠)، وينظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢٦٣٠/٦)، والروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣١٠/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣٦٢/٣).

اَلْمَسْجِدِ اَلْأَقصي – فَمَا أَشْبَهَ اليومَ بِالبَارِحَةِ، وما أحوجنا إلى تلك الأخلاق الجهادية التي بثَّها الشاعر للمجاهدين.

وفي إطاره ومِنْ مَعْنَاهُ يدخلُ **قول الشاعر فتيان الشاغوري**:(١)[بحر الكامل التام]

لَمْ لَمْ تَدْنُ شُوسُ الْمُلُوكِ لَهُ وَقَدْ ... مَلَكَ السَّوَاحِلَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْهُرِ

وَاسْتَنْقَذَ الْبَيْتَ اَلْمُطَهَّرِ عُنْوَةً ... مِنْ كُلِّ ذِي نَجَسٍ بِكُلِّ مُطَهَّرِ

ومن التناص مع معاني القرآن الكريم قول الشاعر فتيان:(٢)[بحر الطويل]

وَبَيَّضْتَ وَجْهَ اَلدِّيْنِ يَوْمَ لَقَيْتُهُمْ ... وَأَبْيَضَكُمْ مِنْ أَسْوَدِ اَلْقَصْرِ أَشْوَسُ

وَكَمْ كَفَى اَلْإِسْلَامَ سُوْءًا بِمُلْكِكُمْ ... كَفَيْتُمْ عَلَى رَغْمِ اَلْمُعَادِيْنَ كُلَّ سُو

فهو من قوله تعالى:﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾(٣)،ولكنَّ الشَّاعِرَ أَسْقَطَهَا على الدِّينِ، فَجَعَلَ الدِّيْنَ كَأَنَّهُ شَخْصٌ يَبْيَضُّ وَجْهُهُ عِنْدَ الفَرَحِ والانْتِصَارِ؛ لِنُصْرَتِهِ مِنْ قِبَلِ أَتْبَاعِهِ ومُرِيْدِيْهِ، ويَسْوَدُّ وَجْهُهُ عند العَكْسِ؛ حِينَ يَخْذُلُهُ أَنْصَارُهُ، ويتركونَهُ وَحْدَهُ يَجُرُّ أَذْيَالَ اَلْهَزِيمَةِ، وهُوَ تعبيرٌ جيِّدٌ مِنْ الشَّاعِرِ، فهُوَ يتناص مِنْ معاني القُرْآنِ الكريمِ مَا يَخْدِمُ قَضِيَّتَهُ، ويَجْعَلُ اَلْمعنى القرآني مَرِنًا قَابِلًا لأَنْ يَتَوَاءَمَ واَلْمعنى الذي يُرِيدُهُ الشَّاعِرُ، وذلك وإِنْ دَلَّ عَلَى شيءٍ فإنَّهُ يدلُّ عَلَى مَدَى تَغَلْغُلِ التَّناص القُرْآني في النَّصِّ الشِّعريِّ، فهُوَ

(١) ديوانه (٤٠٦/١)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤١٠/٣).

(٢) ديوان فتيان الشاغوري ، (ص٤٠٦)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٦٣/٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية:١٠٦.

تناص أَوَّلًا مع لَفْظَهُ ومَعْنَاهُ، ثُمَّ مَعْنَاهُ، ثُمَّ بَدَأَ في التَّفَاعُلِ مَعَهُ وَجَعَلَهُ يَتَوَافَقُ وَمَعْنَاهُ الشِّعريِّ الذي يُرِيْدُهُ.ومنه **قول النابلسي:**(١)[بحر البسيط]

هَذَا الَّذِي كَانَت الآمالُ تنْتَظر فَلْيُوفِّ للهِ أَقوامٌ بِمَا نَذَرُوا

فَالْمُجَاهِدُون نَذَرُوا أَنْفُسَهُمْ لله تعالى، وَهَا هُمْ قَدْ حقَّقُوا النّصْرَ واسْتَرَدُّوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، ألا يحقُّ لهم أنْ يفرحُوا باستيفائهم لِنَذْرِهِم، وذلك من قوله تعالى:﴿**وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾(٢)، فالآيَةُ الكريمةُ وضَّحَتْ أَنَّهُمْ أَوْفُوا نَذْرَهُمْ، وطَافُوا فرحًا بذلك في البَيْتِ العَتِيْق، وكذا الشَّاعِرُ جَعَلَ تَحقيقهم لِلأَمَلِ فَرَحًا اسْتَحَقُّوهُ بَعْدَ وَفَائِهِمْ لِلنَّذْرِ، مُستعينًا بذلك بِالْمَعَنى القُرآني الكريمِ؛ لتأصيل الخلق الجهادي المتمثل في أهمية نذر المجاهدين أنفسهم لله – سبحانه وتعالي –.

ويقول **عبد المنعم الجلياني:**(٣)[بحر البسيط]

مَـالِي أَرَى مَلِـكَ الإفْـرِنْجِ فِـي قَفَـصٍ أَيْـنَ الْقَوَاضِـبُ والعُسَّـالَةُ السُّـمْرُ

وَالاسْـتِبَارُ إِلَـى الدَاوِيَّـةِ الْتَـأَمُوا كَـأَنَّهُمْ سَـدُّ يَـأْجُوجَ إِذَا اشْـتَجَرُوا

وَالـنَّفْسُ مُوْلِعَـةٌ عُجْبًـا بِسِـيْرَتِهَا وَفِـي الْمَقَـادِيرِ مَـا تُسْلَى بِـهِ السِّيَرُ

فهو من معنى ذُكِرَ في القرآن الكريم:﴿ **إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِـدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾(٤)، فالشَّاعِرُ يتهكَّمُ على الصّليبيين، ويَصِفُ جُيُوشَ الْمُسلمين بِالحَصَانَةِ والْمَنَاعَةِ، ويَصِفُ

---

(١) قول الرشيد بن بدر النابلسي. انظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤٠٩/٣)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان (١٨٧/٧)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي (ص١٤).

(٢) سورة الحج ، الآية:٢٩.

(٣) انظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤٠٦/٣)، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي (ص١٦١).

(٤) سورة الكهف، الآية:٩٤.

اَلصَّلِيبِيين بِأَنَّهُمْ وَصَلَ بِهِمْ الحالُ كأنَّ الجيوشَ يَأْجُوْجُ ومَأْجُوْجُ، وهم ضَاقُوا بِهِمْ ذَرْعًا، ويريدُونَ الخَلَاصَ مِنْهُمْ، فهُوَ مِنْ مَعَانٍ لِقِصَصٍ ذُكِرَتْ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ. ومن ذلك أيضًا ما قاله **أسامة بن منقذ** واصفًا بعضَ اَلْمَعَارِكِ الإِسْلَامِيَّةِ التي وَصَفَ فِيْهَا أَدَاةً مُهِمَّةً من أدوَاتِ الحروب: [1][بحر الكامل التام]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْحَيَاةُ كَرِيْهَةٌ ... وَالْمَوْتُ يَرْقُبُ تَحْتَ حِصْنِ اَلْمَرْقَبِ

وَالْحِصْنُ مِنْ شَفَقِ الدُّرُوْعِ تَخَالُهُ ... حَسْنَاءَ تَرْفُلُ فِي رِدَاءٍ مُذَهَّبِ

سَامِي السَّمَاءِ فَمَنْ تَطَاوَلَ نَحْوُهُ ... لِلسَّمْعِ مُسْتَرِقًا رَمَاهُ بِكَوْكَبِ

فالشَّاعِرُ هُنَا تناص مع صُوْرَةً قُرْآنيَّةً؛ وهِيَ اِسْتِرَاقُ السَّمْعِ مِنْ السَّمَاءِ، وَهِيَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ **إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ**﴾[2]، فتلك الصُّورةُ لَمْ تكنْ مَعْرُوفَةً إِلَّا مِنْ خِلَالِ السِّيَاقِ القرآني، فهِيَ إِنْ دَلَّتْ علَى شيءٍ، فإنَّما تدلُّ على أنَّ الشَّاعِرَ يتناص مِنْ مُخَيِّلَتِهِ اَلْخِصْبَةِ صُوَرًا مُستمدَّةً مِنْ القُرآنِ؛لِتَتَوَافَقَ وتَتَمَاشَى مَعَ اَلْمَعْنى الذي يُرِيْدُهُ، وكُلُّ ذَلِكَ يَنُمُّ عَنْ ثَقَافَةٍ دينيَّةٍ عَاشَهَا هَؤلاءِ الشُّعَرَاءِ. ومن ذلك ظُهُورُ الرَّمْزِ بِالإِشَارَةِ إِلى القُرْآنِ الكريمِ في قول **شرف الدين الأنصاري**:[3][بحر الرمل]

---

(١) ديوانه (ص١٢٥)، وينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٥٦/٢).

(٢) سورة الحجر، الآية:١٨.

(٣) شرف الدين الأنصاري: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف أبو محمد الصاحب شرف الدين الأنصاري الأوسي الدمشقي الأصل والمولد الحموي الدار والوفاة الإمام العلامة مجموع الفضائل شيخ الشيوخ قرأ القرآن الكريم بالروايات واشتغل بالأدب، الفقيه الأديب الشاعر شرف الدين الأنصاري الحموي الشافعي، له ديوان شعر مشهور. توفي سنة ٦٦٢ه. انظر: الأعلام، للزركلي (٢٥/٤).

نَفَـــرٌ كَـــالْحُمُرِ الْمُسْـــتَنْفَرَةِ أَجْفَلَـــتْ هَارِبَـــةً مِـــنْ قَسْـــوَرَةْ
طَلَبُـــوا شَـــأْوِي وَلَمَّـــا يَلْحَقُـــوا بَعْـــدَ لَـــأْيٍ مِـــنْ غُبَـــارِي أَثَـــرَهْ
مَـــنْ يُسَـــالِمُنِي أُسَـــالِمُهُ وَمَـــنْ رَامَ حِزْبِـــي فَإِلَيْـــهِ الْمَعْـــذِرَةْ
وَأَبِـــي مَـــنْ قَـــدْ عَلِمْـــتُمْ قَـــدْرَهُ مُجْهِـــرٌ بِالْخَطْبَـــةِ الْمُسْـــحَنفِرةْ(١)

فالأبياتُ السَّابقةُ تَحملُ في طيَّاتها إشارةً رمزيَّةً لبعضِ الآياتِ في سُورةِ الْمُدَّثِرِ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾(٢)، وما يليهما من الآياتِ، فهي ترمزُ إلي احتقارِ مَنْ يفتخِرُ عليهم، ويسخَرُ مِنْهُمْ بِهَذَا الأُسْلُوبِ القُرْآنِي العَظِيْمِ الَّذِي يُصَوِّرُ رَوْعَةَ وَفَزَعَ أَصْحَابِ الْجَحِيْمِ. ومن المعروف أنَّه عدم الخوف من العدو، واعتبره رمزًا يدعو للسخرية والاحتقار من الأخلاق الجهادية التي يحتاج القادة إلى زرعها في نفوس المجاهدين، وهو ما حاوله الشاعر، مُستعينًا بالمعني القرآني، ومنه أيضًا **قول سناء الملك**:(٣)[بحر الخفيف]

كُنْـتَ فِـي جَنَّـةٍ فَأُخْرِجْـتَ مِنْهَـا وَاسْـتَعَادَ الْعَطَـاءَ رَبُّ الْعَطَـاءِ
أَتُرَانِـي إِنْ أَطَعْـتَ إِبْلِـيْسَ فِـي الْأَكْـلِ مَـعَ آدَمَ وَمَـعَ حَـوَّاءِ

فهو يرمزُ هنا إلى حادثَةِ إِخْرَاجِ إِبْلِيْسَ لِآدَمَ وحَوَّاءَ مِنْ الجَنَّـةِ، حينمَا طَعِمَا مِنْ الشَّجَرَةِ ،التي حرَّمَها اللهُ عليهِمَا، وَهِي مِنْ قولِهِ تعالى:﴿ **فَأَكَلا مِنها فَبَدَت لَهُما سَوءَتُهُما** ﴾(٤).

(١) ديوان شرف الدين الأنصاري، (ص٢٧٠).
(٢) سورة المدثر،الآيتان: ٥٠ –٥١.
(٣) ديوان ابن سناء الملك، (ص٣٢)
(٤) سورة طه، الآية:١٢١.

ومن التَّوظيفِ اَلْمَعْنوَيِ أيضًا لِمَعَاني القُرْآنِ الكَرِيْمِ قول **فتيان الشاغوري**: [1][بحر الطويل]

هَنِيْئًا لَقَدْ أُوْتِيْتَ سُؤْلَكَ يَا مُوْسَى ... بِجَدٍّ وَحَدُّ كَلِمَةِ اَلدَّهْرِ مَا يُوْسِى
إِذَا أَشْرَفَتْ لِلأَشْرَفِ القِيْلُ رَايَةٌ ... تَنَكَّسَتِ الصُّلْبَانُ بِالْكَسْرِ تَنْكِيْسَا
وَقَدْ نَطَقَتْ بِالنَّصْرِ بِيْضُ سُيُوْفِهِ ... كَمَا أَخْرَسَتْ رَنَّاتُهُنَّ النَّوَاقِيَا
هُوَ اَلْخِضْرُ اَلْمَشْهُوْرُ نَشْرًا وَسُؤْدَدًا ... وَيُوْسُفُ حُسْنًا وَأَلِقُ مُوْسَى تَجِدْ مُوْسَا
بِحَمْدِهِ عِيْسَى عَلَى فَتَكَاتِهِ ... بِجَحْفَلِهِ فِي أُمَّةٍ عَبَدَتْ عِيْسَى

فالشَّاعِرُ هنا يوظِّفُ قِصَّةَ مُوسى عليه السلام وسيرةَ اَلْخِضْرِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الذي صَحِبَهُ، وأيضًا يُشيرُ إلى اِنْحِرَافِ العَقِيْدَةِ لَدَى بني إسرائيلَ، فالأبياتُ الشِّعريَّةُ تلتقِي فيهَا الآيَاتُ الكريمَةُ مِنْ قِصَّةِ الخِضْرِ التي ذكرها القُرْآنُ في قوله تعالى:﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾.[2]وأيضًا الأبياتُ فيهَا تناص مع قوله تعالى:﴿**قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾[3]، فكأنَّ الشَّاعِرَ ضمن في الأبياتِ اَلْمَعَاني القُرآنيَّةِ لِشُعُوْرِهِ بِحَاجَةِ القصيدَةِ إليها، فكأنَّ تِلْكَ التَّشْبيهَاتِ وتلك الصُّوَرَ القُرآنيَّةَ ستُعبِّرُ عمَّا يَجُوْلُ بِخَاطِرِهِ، وبالتَّالي لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ حَشْدِ كُلِّ تِلْكَ الصُّوَرِ القُرآنيَّةِ جنبًا إلي جَنْبٍ؛ لتأكيد فكرته العامة

(١) ديوان فتيان الشاغوري (ص٧٨).
(٢) سوة الكهف، الآيات: من ٦٦إلى ٧٠.
(٣) سورة طه، الآية: ٣٦.

وهدفه الأساسي من هذا التناص، وهو الإلحاح على الأخلاق الإسلامية المنتمية إلى الجهاد. ومنه أيضًا:[بحر الطويل]

بِهِ عَاشَ مَوْتَى الْفَقْرِ حَتَّى كَأَنَّمَا أَتَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الْمَسِيحِ مَسِيحُ(١)

فهو هُنَا يرمزُ إلى معنى الآيَةِ الكريمةِ ﴿**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾.(٢)ومنه أيضًا قول **ابن سناء الملك**:(٣) [بحر الخفيف]

شَادَ رُكْنَ السَّبْعِ الأَقَالِيمِ بِالتَّدْ بِيرِ حَتَّى أَضْحَتْ كَالسَّبْعِ الشِّدَادِ

قَلَمٌ فِي يَدٍ لَهُ لَمْ يَزَلْ يَجْرِي فَيُزْرِي بِالصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ

هو للمُلْكِ كالعمادِ، فتلك اليدُ مُغنيَّة بذاتِ العِمَادِ، فالبيتُ الأول مُوظَّفٌ من معنى قوله تعالى:﴿**وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا**﴾(٤)،والبيتُ الثَّانِي مِنْ قوله تعالى:﴿ **إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ**﴾(٥)، والبيتُ الثَّالثُ من قوله تعالى:﴿**إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ**﴾(٦).

ومنه أيضًا: (٧)[بحر البسيط]

مَا جَاءَهُ بَشَرٌ مِنْهُمْ لِيُرْشِدَهُ إِلَّا وَهَيَّأَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ رَشَدَا

---

(١) انظر: بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، لعبد الجليل المهدي (ص٢٨٩).

(٢) سورة المائدة، الآية:١١٤.

(٣) ديوان ابن سناء الملك، (ص١٣٨).

(٤) سورة النبأ، الآية:١٢.

(٥) سورة ص، الآية:٣١.

(٦) سورة الفجر، الآية:٧.

(٧) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (٢٠٨/٢).

فالبيتُ من معنى قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.(١) ومن ذلك أيضًا قوله:(٢)[بحر الكامل التام]

مَنْ مُبْلِغٌ بَيَانَ سَيِّدِ اَلْقُرَى ... أَنَّ اَلْهَنَاءَ أَتَاكَ مِنْ اَلْقُرَى

فَلَوِ اسْتَطَاعَ اَلْبَيْتُ أَرْسَلَ حِجْرَهُ ... وَفَدُوا وَأَرْسَلَ بِالْهَنَا

كَفَرَ الشَّامُ وَعَسْقَلَانُ مُؤْمِنٌ ... حَاشَاهُ وَهُوَ عَرِيْنُهُ كُفْرَا

وَلَكَانَ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ... بِهِمْ إِذَا كَانَ يُضْمِرُ ضِدَّ مَا قَدْ أَظْهَرَا

فأمُّ القُرى لَها وَقْعٌ في نُفُوسِ اَلْمُسلمين، تُدَغْدِعُ عَوَاطِفَهُمْ وتُثِيرُ كوَامِنَهُمْ، ومثلها اَلْمَشَاعِرُ اَلْمُقَدِّسَة الأخرى، وقد وظَّفَهُمَا كي يَستلْهِمَ اَلْمُتلقِّي اَلْمَوجَاتِ النَّفسيَّةَ التى تَنْبعِثُ مِنْ دَلَالَةِ الكَلِمَةِ، فيزيدُ حُبُّهُ ويَنْدَفِعُ إلى تحرير تِلْكَ الأراضِي اَلْمُقدَّسَةِ، وهُوَ يَرْمُزُ أيضًا لِمَكَانَةِ عَسْقَلَانَ بين اَلْمُدُنِ السَّاحليَّةِ، التي في قَبْضَةِ الصَّليبيين، فكأنَّها مُؤمِنٌ من آلِ فِرْعَوْنَ، وذلكَ مِنْ مَعْنى قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾.(٣)

وكأنَّ عسقلانَ مدينةُ الإيْمَانِ وَسَطَ بَرَاثِنِ الكُفْرِ، كَمَا كانَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ تَقيًّا وَسَطَ بِيْئَةِ الكُفْرِ، فالتَّوظيفُ هُنَا غَرَضُهُ اَلْمُشَابَهَةُ، وإِثَارَةُ اَلْهِمَمِ والعَزَائِمِ مِنْ أَجْلِ تَحقيقِ النَّصْرِ.

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠.

(٢) انظر: أدب الحروب الصليبية، لعبد اللطيف حمزة (ص٨٦).

(٣) سورة غافر، الآية:٢٨.

الخاتمة

وهكذا يُمكنُ القولَ إنَّ القُرْآنَ الكريمَ بألْفاظِهِ ومعَانيهِ، لَعِبَ دوْرًا مُهمًّا فِي شِعْرِ الْجِهَادِ إبَّان الْحُرُوبُ الصَّلِيبيَّةُ ،فَهُوَ الْمَعِيْنُ الْخِصْبُ، والنَّبْعُ الواسعُ الَّذي حوَى كُلَّ الْمَعَانِي الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي أَرَادَ الشَّاعِرُ تَوْصِيْلَهَا بِصُوْرَةٍ أَوْ بِأُخْرَى، ومِنْ خِلَالِ مَا سبَقَ فِي الْمَبْحَثَيْنِ السَّابِقَيْنِ يُمْكِنُنَا أنْ نَقُوْلَ أنَّ هُنَاكَ تَنوُّعٌ فِي التَّناص، وَهُنَاكَ أَشْكَالٌ مُخْتَلِفَةٌ للتَّناص – كمَا سبَقَ بيَانُهُ – فَالتَّناص أَشْكَالُهُ مُتَنوِّعَةٌ وثَرِيَّةٌ، تَضْفِي عَلَى النَّصِّ الشِّعْرِي ِّسِمَةَ الأَصَالَةِ والْمُعَاصرَةِ، حَيْثُ يَلْتَقِي فِي الْقَصِيْدَةِ، عَبَقُ الْمَاضِي مَمْزُوْجًا بِحَدَاثَةِ الْحَاضِرِ، فَيُحْدِثُ نَوْعًا مِنْ التَّوَاصُلِ الْفَعَّالِ، الَّذِي يُثْرِي الْقَصِيْدَةَ، ويَجْعَلُهَا قَصِيْدَةً مُعَبِّرَةً عَنْ تُرَاثِ الأُمَّةِ الدِّيْنِي، الَّذِي يَحْتَاجُهُ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ لِأَنَّهُمْ يُنَاضِلُوْنَ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ، فَكَانَ القرآن الكريم الْمُرْتَكِزَ الَّذِي أَسَّسُوا عَلَيْهِ أَحْلَامَهُمْ فِي دَحْرِ الصَّلِيبين، ونَبْعًا أَمَدَّهُمْ بِالعَزِيْمَةِ وَالإِرَادَةِ، فَلَمْ يَكُنْ النَّصُّ الدِّيْنِي الْمَمْزُوْجُ بِالتُّرَاثِ عِبْئًا عَلَى الْقَصِيْدَةِ أَوْ حِلْيَةً للتَّزيُّن، وَإِنَّمَا ضَرُوْرَةٌ قَوْمِيَّةٌ وَوَاجِبٌ وَطَنِيٌّ، اِسْتَجَابَ لَهُ الشُّعَرَاءُ، وَعَبَّرُوا عَنْهُ بِمَا يَخْدِمُ قَضِيَّتَهُمْ، ويبدو أنَّ التَّناص هنا لم يأتِ عشوائيًّا، لكن أدَّى الوعي الجمعي لدى الشعراء دورًا كبيرًا؛ نتيجةَ إحساسهم بخُطورةِ المرحلة التي كانوا يعيشون فيها، ممَّا جعل التناص مع التراث القرآني لديهم له هدفٌ مهمٌّ، فهو وسيلتهم الإعلامية الجهادية التي يرمون من وراءها إلى تأصيل الثقافة الإسلامية، للحثِّ علي الجهادِ، وكذلك نشر الأخلاق الإسلامية الجهادية، وهكذا، وبعد نهاية تلك الرحلة مع التراث القرآني في شعر الجهاد يتَّضحُ أنَّ الثقافة القرآنية الإسلامية هي العنصر الحاضر دائمًا في القصيدة الجهاديَّةِ، وهي زادهم وقتَ الشِّدَّةِ، وملاذُهُم وقت اشتداد الخُطُوب.

******

المصادر والمراجع :

١. – **أثر القرآن الكريم في الأدب العربي في القرن الأول الهجري**، لابتسام الصفار، مطبعة اليرموك، بغداد، ١٩٧٤م،

٢. **إنتاج الدلالة في شعر أمل دنقل**، لصلاح فضل، مجلة فصول، العدد الأول، القاهرة، ١٩٨٠م.

٣. **أثر القرآن في الشعر العربي الحديث**، لشلتاغ عبود شرّاد، دار المعرفة، دمشق، د.ت

٤. **التصوير الفني في القرآن**، لسيد قطب، دار المعارف، مصر، ط٤، د.ت،

٥. **عيون الروضتين**، لأبي شامة المقدسي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١٢م.

٦. **التاريخ الصغير**، للبخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م

٧. **الأغاني**، للأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت،ط١، ١٤٠٧م

٨. **الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي**، لعبد الهادي الفكيكي، دار النمير، ط١، دمشق، ١٩٩٦م

٩. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لابن تغري ، وزارة الإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ت.

١٠. **ديوان عرقلة الكلبي**، تحقيق: أحمد النجدي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.

١١. **الأعلام**، للزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت،٢٠٠٢م.

١٢. **بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية**، لعبدالجليل حسن المهدي، دار البشير للنشر عمان، الأردن، ١٩٨٩م

١٣. **ديوان ابن الساعاتي**، تحقيق: أنيس المقدسي، منشورات كلية الآداب، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٨م

١٤. **ديوان ابن القيسراني**، جمع وتحقيق ودراسة: عادل جابر صالح، الوكالة العربية للتوزيع، الأردن،١٩٩١م.

١٥. **خريدة القصر وجريدة العصر**، (شعراء الشام، ومصر، والمغرب والأندلس)، لعماد الدين الأصفهاني، تحقيق: شكري فيصل(الشام)،أحمد أمين، إحسان عباس، شوقي ضيف (مصر)، محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي (المغرب والأندلس)، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٥- ١٩٦٨م (الشام)، دار الكتب المصرية ٢٠٠٥م مصورة عن نشرة ١٩٥١م (مصر) ، الدار التونسية للنشر - ١٩٨٦م (المغرب والأندلس).

١٦. **ديوان ابن سناء الملك**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وحسين محمد نصار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت.

١٧. **ديوان العماد الأصبهاني**، جمعه وحققه: ناظم رشيد، وزارة الأوقاف، الموصل، ١٩٨٣م.

١٨. **ديوان ابن منير الطرابلسي**، تقديم: عمر عبد السلام تدمري، دار الجيل، بيروت، د.ت.

١٩. **ديوان فتيان الشاغوري**، تحقيق: أحمد النجدي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٧٦م.

٢٠. **ديوان ابن عنين**، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ١٩٤٦م.

٢١. **ديوان ابن النبيه المصري**، شرح: عبد الله فكري، المطبعة العلمية، القاهرة، ١٣١٣هـ.

٢٢. **ديوان طلائع بن رزيك**، جمع وتحقيق: أحمد بدوي، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت.

٢٣. **ديوان، أسامة بن منقذ**، تحقيق د. أحمد بدوي، وحامد عبدالحميد، ط٢،عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٤. **الوافي بالوفيات**، للصفدي، تخقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٥. **مطالع البدور ومنازل السرور**، لعبد الله الغزولي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦م

٢٦. **تاريخ الإسلام**، للذهبي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.

٢٧. **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
٢٨. **ديوان أبي المظفر الأيبوردي**، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٤٧م. وتحقيق: د. عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢٩. **صلاح الدين الأيبوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية**، لمحمد علي الصَّلاَّبي، دار المعرفة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣٠. . **العماد الأصفهاني، حياته، فكره، أدبه**، لزينب ناصر، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٢م.
٣١. **نهاية الأرب في فنون الأدب**، لشهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ه.
٣٢. **ديوان شرف الدين الأنصاري**، تحقيق: عمر موسى باشا، مجمع اللغة العربية، دمشق ، ١٩٦٩م.
٣٣. **نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية**، لمحمود فايز السرطاوي، دار البشير للنشر، عمان، الأردن،١٩٩٠م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٩٠
٢-	Abstract	٩٢
٣-	تَوْطِئَةٌ:	٩٤
٤-	اَلْمَبْحَثُ اَلْأَوَّلُ: أَشْكَالُ اَلتَّنَاصِّ مَعَ اَلْأَلْفَاظِ اَلْقُرْآنِيَّةِ بِغْيَةَ تَأْصِيلِ اَلثَّقَافَةِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ فِي شِعْرِ جِهَادِ اَلْحُرُوبِ اَلصَّلِيبِيَّةِ (اَلتَّنَاصّ اَلْمُبَاشِر)	١٠٣
٥-	اَلْمَبْحَثُ اَلثَّانِي: اَلتَّنَاصّ مَعَ اَلْمَعَانِي اَلْقُرْآنِيَّةِ لِتَأْصِيلِ اَلْأَخْلَاقِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ فِي شِعْرِ جِهَادِ اَلْحُرُوبِ اَلصَّلِيبِيَّةِ (اَلتَّنَاصّ غَيْرُ اَلْمُبَاشِر)	١٢٧
٦-	الخاتمة	١٤٩
٧-	المصادر والمراجع :	١٥٠
٨-	فهرس الموضوعات	١٥٣

تم بحمد الله